



رسم الغلاف
وضعه خصيصاً للكتاب
الفنان وجيه نعله
تحية للشاعر

جودت حيدر

مشوار العمر

إهداء

إلى من كان لي أخًا وأبًا وسريًا
إلى روح أخي محمد رستم حيدر

جودت حيدر مشوار العمر

جمعه الدكتور يوسف أحمد بقاعي
نقحه الدكتور ميشال خليل جحا

المقدمة بقلم العميد الدكتور أنيس مسلم

المختويات

مقدمة بقلم العميد الدكتور أنيس مسلّم
صديقي جودت حيدر بقلم الدكتور ميشال خليل جحا

٢٩ ١ - الفصل الأول

٣١ آل حيدر ونشأة جودت حيدر

٤٥ ٢ - الفصل الثاني: التحصيل العلمي

٤٧ أ - مرحلة التحصيل العلمي في لبنان وفرنسا

٥٨ ب - مرحلة التحصيل العلمي في الولايات المتحدة الأميركية

٧١ ٣ - الفصل الثالث: في الوطن

٧٣ أ - عمله في التعليم

٨٤ ب - في شركة نفط العراق

٩٩ ٤ - الفصل الرابع: عائلته

١٠١ أ - زواجه وأولاده

١٠٨ ب - رسائله إلى زوجته أثناء الخطوبة

١٢١ ت - أخوه محمد رستم حيدر

١٣٦ ث - وحيدته بسام

١٤٥ ٥ - الفصل الخامس: في معترك الحياة

١٤٧ أ - بعد شركة نفط العراق

١٥٠ ب - مع مجرى الحياة

١٦٤ ت - نشاطه الأدبي

١٦٤ • انسياب الشعر من قلمه

١٧٦ • واحة الأدب في البقاع

١٨٣ • ترميم وإعادة تمثال خليل مطران إلى ساحته في بعلبك

١٩٥ ملاحق

١٩٧ أ - عن جودت حيدر

٢٠٦ ب - الأوسمة

٢١٤ ت - منزله

٢١٧ ث - أقوال في جودت حيدر

٢٢٤ ج - بعض من أدبه وخواطره

٢٥٩ الخاتمة

المقدمة

جودت حيدر هذا البوهيمي المرتدُّ

يتصدَّر مدخل الحديقة العامة

في مدينة تارب (Tharbes) الفرنسيّة هذا البيان:

«ممنوع الدخول إلى الحديقة وأنتم تحملون الزهور»

لا أعرف لماذا عاودتني صورة حديقة تارب المدهشة، ولا كيف طالعتني مساكب ورودها ونضارة زهرها وبيان مدخلها الشهير؟ ولا أخفي عن القراء أنني اشتممتُ عبيرَ حبقها، حين جلست أعد هذه الكلمة.

المهم كوني أدركت أن دخول بعض الأحرار له طقوس، بعينها. لذا لن أحمل أية زهرة وأنا أدخل حديقة الشاعر، بل سألج معكم حرم هذه المملكة مثل أميرٍ صغيرٍ، يخرج لأوّل مرّة من قصره حمسًا، يتأمل في الطبيعة، يتساءل، يتجاسر عاجزًا عن إخفاء دهشته وكتم إعجابه بروائع الكون.

حياة جودت حيدر تميّزت بالسفر والأحلام الكبيرة، فتنقّل بين لبنان وفرنسا والولايات المتحدة الأميركيّة، وتجوّل في أقطار المنطقة وبلدانها، فجوهر السفر ذاته، صقلها، بلورَ أحلامه فازدادت ألقًا.

درس مطلع العشرينات، في الجامعة الأميركيّة، وفيها أنهى سنته الاعداديّة، ثم حمّله طموحه إلى فرنسا فانكبَّ على التخصّص في الزراعة، ومنها انتقل إلى الولايات المتحدة الأميركيّة، فتابع تخصّصه في هذا الحقل، إلى أن جذبته العلوم الإنسانيّة،

فغاص في علم النفس والتربية والتعليم، وإبان هذه المرحلة، راح يُقارب الشعرَ، يسامر اللغة، يقرأ أكابرها بالانكليزية والعربية، متوقفاً عند المفارق الأساسية وعالي المشارف.

نشر خمسة دواوين بالإنكليزية، بعضها تُرجم الى اكثر من لغة.

في مقدمة وضعها الأديب جون مونرو، رئيس قسم اللغة الانكليزية في الجامعة الأميركية لديوان الشاعر «أصداء»، قارن فيها بين أمين الريحاني وجبران خليل جبران ومخايل نعيمة وجودت حيدر، قال مونرو ما هذا بعضُ معناه: جودت حيدر يُعيدُ الغمَّ عنا، يواسينا، يحترمنا وينشط فينا العقل.

شغل حيدر عدة مناصب مهمة، فكان مديراً لجامعة عاليه الوطنية، ومن ثمّ رئيساً لجامعة «النجاح» في نابلس بفلسطين، وعضواً في مجلس التعليم العالي التابع لحكومتها. كما تبوأ مراكز أساسية في شركة نفط العراق I.P.C.

أحبّ البحر، قاربه، حاور أمواجه والنساء، فكتب فيه وأجاد.

لم ينتم إلى مدرسة معينة في الشعر.

مارس السياسية في العديد من مجالاتها، خاض الانتخابات في منطقة بعلبك، ولكنه لم يجد نفسه إلا في الشعر والأدب، ففيهما لقي ما كان يبتغيه: السمو والعمق وصفاء النفس.

حبّ والديه كان بالغ الأثر في حياته، «دوزن» توازنه، وطّد عافيته، وارشده إلى التصرف السليم القائم على الصدق والتعقل والإقدام.

ان من يرى جودت حيدر، متسربلاً وقاره، مرتاحاً الى مصيره، مطمئناً عما أتاه، جامعاً في تقاسيم وجهه الاشرقة البعلبكية إلى العفوية البقاعية، يظنه بوهيمياً مرتداً ترك هموم الدنيا على أرصفة المدن الكبيرة التي مرّ فيها، أو نسيها في ملاهيها ومسارحها ومتاحفها الأثرية، أو نثرها في حدائق قصورها الفخمة المليئة بأحداث التاريخ، فلم تلحق به، ولا حفرت لها ثلماً بين الأتلام التي رسمتها السنين على

وجهه. أما المتبحرُ في هذا الوجه فيقرأ التجارب واحدة، واحدة، القاسية منها والممتعة. يتلمس عصف الأنواء ويلمح الصفاء الذي يلي مدلهمات الليالي.

من يراه اليوم هكذا، جلياً، حليماً، شفيفاً، يستعذب، لتوّه، الشيخوخة؛ يتمناها، يحبّها، وقد يستعجلها، وإذ يدركُ جودت حيدر الأمر، يتململ، يرتبك، يللمل خواطره، يستجمع قواه ويجلس متحفظاً. فقد تعلّم، هذا الشيخ، في مراحل نضاله وتجوّاله بين الناس والأشياء والمصائر، وتبصره، أن لا يستعجل الأمور، فالثمار كما ندرك لا تينع إلا في أوانها. ثم ان الناس ليسوا جميعهم القيصر أو موزار أو بيتهوفن أو أبا العلاء المعري أو سعيد عقل، ولا الأعمار تُحسبُ بعددِ السنين وحسب.

قليلون هم الذين يضاھون جودت حيدر حكمةً وشمول فكر، رزانةً وعدوبةً حضور، فكانَ هذا الرجل، يكبر على ذاته، مع الأيام، ينضج، يتألّق مثل عنقود عنبٍ زحلي؛ يتألّز مثل جوهرة، وهو يعي بعمق حقيقة يجهلها أو يتجاهلها مُعظّمنا، وخلاصتها: ان حجمَ خسائرنا يتضاعف مع كل ساعة تقوت من أعمارنا.

لهذا، ربما، أحبّ البحرَ وصادقه الى هذا الحدّ. تأمّله. ناجاه. استوحاه، وسكب في أعماقه الكثير من خلجات قلبه، فبقي قلبه نضراً، فتياً، ينبض بالحنان، لا يتوانى عن الحبّ، لا يخرج عليه ولا يهون.

فالبحر محروس، أبداً. وهو مع الساهرين حيّ أبداً، طليق أبداً، يسهر لا ينام، طموح يعشق الأشرعة والرايات العالية البيض. قانع بعذريته، حريص عليها، وفيّ لها. هو عشير الموهوبين، أنيسهم. فمن أيّة جهةٍ نظرت إليه، وفي أي وقت وظرف نظرت، رأيته، دوماً، هو أيّاه، موازياً ذاته لا عيب فيه، لا خلل ولا زغل.

هكذا أرى جودت حيدر، ومن هذه الزاوية أفهمه، فمملكة البحر، تهبّ، على حدّ تعبير مونتسكيو، الشعوب التي تجيد سياستها عنفواناً طبيعياً.

حمل محبة لبنان ورائحة ترابه، عبر البحور، الى أطراف الأرض، فكان طائرَ الأرض وطائرَ البحر الغريد: غناهما، استوحى من الأولى الوفاء ورحابة الصدر، والكرم والثبات في الموقف وقول الحقّ، وعرفان الجميل. ومن البحر أغترف اللؤلؤ، تمرّس

غاص في اللّجج يفتش عن أصولنا. رسم على صحائف البحر، وجوهنا. تعلّم على يديه التبصّر وطول الأناة. تذوّق، على وقع أمواجه، نكهة الانتظار، فأتقن المناظرة وبرع في اكتناز الحكمة وبعد النظر.

كانت الكلمة زورقه وشرّاعه وباعه الممدود جسورًا يجمع الضفاف ويسهّل العبور.

سعى إليها بجدّ، وثابر على سعيه. قاربها، داعبها، قلب حروفها، بدّل مواقعها فصارت مطواع أليفة. فمن حروف البحر، اشتقّ الرحبّ وعبر اليه يدرّب صدره على رحابه. ومن البحر استخلص الخبر يدوّن به النفائس، فلا تُمحي بالهين. ومن البحر تعلّم الترفع عن الصغائر وهمل المبتذلات والتوافه جميعها.

تنسّم اللغة فكانت أوكسجينًا لرئتيه. كرّرها وتكرّر بها، فما تلف التكرار أحدًا منهما. جوهر اللغة وتجوهر بها فاستحقّها.

أشير هنا الى واحدةٍ من أجلّ فضائل اللغة، هي قدرتها على التجدّد والديمومة.

المتبحّرون في قضاياها، يعون هذه الظاهرة، يلمسونها في الروائع، يستمتعون بها. من هوميروس الى المتنبي وأبي تمام والجاحظ. ومن دانتي الى شكسبير وغوته وفكتور هوغو وبول فاليري وشوقي والأخطل الصغير وأمين نخلة وسعيد عقل وجوزف صايغ. تنبعثُ الكلمة من ذاتها على أقلام هؤلاء الأفاضل. في كلّ لحظةٍ ابداعٍ تنبعث. تقول الشيءَ والمضمّر. ترسم تاريخها، حاضرها ومستقبلها في الرائعة عينها.

ينضر وجه اللغة ويدخل مع كبار الشعراء والأدباء مدار الحسن. تبلغ رونقها على أقلامهم، تصير بهم جدّيةً وجادةً في فصاحتها. جزلة، عذبة، منعشة، حتى تقارب ملكوت الصمت، تستمدّ منه ماويةً البلاغة، ثم تجتازها الى الإيحاء في هنيهات مقدّسة، تعرف كل هنيهة منها مستقبلها، تقبله، تدخل فيه وترتاح اليه، الى أن يعبر المستقبل الى التاريخ، فإما يصمدُ العملُ الفنيُّ، يصير رائعة، تراثًا واما يسقطُ فيزول.

تصيرُ اللغةُ على أيدي عباقرتها بشرى جديدة. انساناً يبتدعُ رجاءه وفرحه وسلامه. يجتاز مأساته، يتجاوز عريه ويتغلب على ضعفه ولحظاتِ هوانه، ليدخل مطمئناً وَحْدَةَ الانسان والكون. يصير الانسان سيّد الزمن.

وهذا ما يسمّيه بعضُ المؤمنين البلوغ الى الله.

في هذا المناخ نقرأ سيرة صديقنا جودت حيدر، نراه يستخرجُ كنوزه من خزائن الذاكرة. يعرض علينا مختاراتٍ من تجاربه، يقف عند المفترقات الأساسية، يدلّنا على الطرق والدروب، يفصل روافدها، يعيد بناء بعض الأحداث ويشير الى آفاق ترتسم عند مرمى عينيه.

لنتبصّر فيه يتأملُ، يتذكّرُ، وننصتُ إليه يسردُ علينا طرائفَ الأيام وتقلّباتِ الدهر. لنتبحّر فيه كيف يُخرّج الليالي من سوادها، يعللها، يصبها في أصابع نطل منها على أروع الحداثق وأنضرها.

زحلة، في ٢٥ آذار ٢٠٠٢

أنيس مسلّم

صديقي جودت حيدر

بقلم: الدكتور ميشال خليل جحا

تعود معرفتي بجودت حيدر (جودت بك)، كما يحلو لنا أن نسميه، إلى أكثر من نصف قرن وبالضبط إلى سنة ١٩٤٩. يومها كان يشغل وظيفة مدير التوظيف في شركة نفط العراق (I.P.C.) في طرابلس (لبنان). كنت يومها قد نلت شهادة السوفومور (Sophomore) من الجامعة الأميركية في بيروت بعد أن درست فيها مدة سنتين واضطرت إلى إيجاد عمل لأنني غير قادر مادياً على متابعة دراستي الجامعية. ساعدني جودت حيدر على إيجاد وظيفة في الشركة حيث عملت طيلة أربع سنوات عدت بعدها لمتابعة دراستي في الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٥٣، حين توطدت وأصر الصداقة مع ابنه الوحيد المرحوم بسام جودت حيدر الذي كان يدرس في الجامعة الأميركية في تلك الفترة.

وفي سنة ١٩٥٧ - وكنت قد وضعت رسالة لنيل شهادة الماجستير (MA) في الجامعة عن الشاعر خليل مطران ابن بعلبك - اصطحبني بسام في سيارته واستضافني في منزلهم في بعلبك فقابلت شقيقة خليل مطران التي كانت ما زالت على قيد الحياة. استمرت صداقتي بجودت حيدر على مر السنين ولما طلب مني مراجعة مذكراته او «مشوار عمره» هذه قبلت المهمة دون تردد لأن حياة الرجل المديدة مليئة بالجهاد والعمل الدؤوب والتجارب التي تتناول العمل الإداري والسياسي والأدبي والاجتماعي.

في سن الثامنة ترك مدينته بعلبك، بعد وفاة والدته، والتحق بوالده واخوته الذين كان قد نفاهم الأتراك إلى الأناضول فعرف طعم النفي والاضطهاد وهو ما زال في طور الطفولة.

ثم يعود من المنفى سنة ١٩١٧ ويدفع به طموحه إلى متابعة دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت فيجتاز امتحان اللغة الإنكليزية ويُقبل في الصف الأول للعام الدراسي ١٩١٨-١٩١٩ ويعلمه حسن كامل الصباح الجبر والهندسة الذي أثر في حياته وأقام معه أواصر صداقة متينة رغم فارق السن. وفي الجامعة أخذ يمارس رياضة كرة السلة وأصبح رئيساً للفريق.

يسافر جودت حيدر إلى العراق للقاء شقيقه محمد رستم الذي كان وزيراً للبلاط ويشرب الشاي مع الملك فيصل ملك العراق ويتعرف إلى الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي كان موظفاً في البلاط الملكي.

ثم يسافر إلى فرنسا ليتخصص في الهندسة الزراعية فيركب الباخرة إلى مرسيليا ومنها إلى ليون حيث جمعته الصدفة بقنصل أميركا في فرنسا الذي ساعده على تحقيق حلمه للسفر إلى الولايات المتحدة الأميركية للدراسة والتخصص بعد أن استرجع القسط الذي كان قد دفعه سلفاً للكلية وقد استطاع أن يسترجع القسط بناء على تقرير طبي يفيد بأنه مريض وغير قادر على متابعة دراسته. ولكن الحصول على تأشيرة للسفر إلى أميركا يستوجب تقديم تقرير إلى القنصل يثبت أن صحته جيدة. ذهب إلى نفس الطبيب الذي كان قد رشاه بخمسة فرنكات لإعطائه التقرير بأنه مريض ودس في جيبه خمسة فرنكات أخرى ليعطيه تقريراً جديداً يفيد بأنه يتمتع بصحة جيدة!

ثم زار باريس لمشاهدة معالمها الحضارية قبل أن يركب الباخرة ويسافر الى الولايات المتحدة الأمريكية ليدرس الزراعة في إحدى جامعات تكساس سنة ١٩٢٥ حيث أعجب بالأساليب الحديثة التي تطبق في الزراعة وقارن بينها وبين الأساليب الزراعية البدائية التي تطبق في البقاع.

ولكنه تحوّل عن دراسة الزراعة إلى التخصص في التربية والتعليم ونال شهادته سنة ١٩٢٨. ورغم الإغراءات للبقاء في الولايات المتحدة الأميركية وإلحاق رئيس الجامعة عليه للعمل في التعليم براتب لا بأس به قرر العودة إلى وطنه لكي يستفيد منه وطنه بدلاً أن تستفيد أميركا، «لأن كل ذرة من تراب الوطن أغلى من بقاع الأرض» كما يقول.

عاد إلى بيروت وكان جبران تويني وزيراً للتربية فعرض عليه العمل في الوزارة كمفتش براتب ١٢٧ ليرة لبنانية فقبل لكن المرسوم لم يوقعه مندوب المفوضية الفرنسية العليا لدى الحكومة اللبنانية لأن لديه معلومات تفيد بأن جودت حيدر ضد الانتداب الفرنسي. وما هي إلا تهمة ألصقت به ولكنه تذكر أنه كان قد أرسل رسالة من الولايات المتحدة إلى المندوب السامي في بيروت ينتقد فيها الانتداب الفرنسي.

ولما سدت في وجهه إمكانية العمل في وزارة التربية توجه للعمل في جامعة عاليه الوطنية التي كان يرأسها الياس شبل الخوري الذي كلفه بوظيفة مدير للجامعة التي كان أستاذ العربية فيها الأديب مارون عبود، حيث مكث سنتين فكانت تلك أول وظيفة يشغلها في لبنان.

ثم انتقل للعمل في كلية النجاح في نابلس ملبياً طلب مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، حيث عمل على رفع شأن الكلية لما أحدثه فيها من تحديث في البرامج والأنشطة التربوية وإدخال دم جديد في الهيئة التعليمية.

رغم تميزه في حقل التربية والتعليم لم يتخذ جودت حيدر التربية والتعليم مهنة دائمة له. ففي سنة ١٩٣١ ترك العمل في كلية النجاح وانخرط في سلك الوظيفة الإدارية في شركة نفط العراق معاً لمدبر التوظيف في الشركة في طرابلس لبنان سنة ١٩٣٢ ومنها انتقل إلى حمص حيث مكث سبع سنوات حين كانت الشركة قد قررت مد خطين لأنابيب النفط، واحد من كركوك في العراق إلى طرابلس في لبنان، والثاني من كركوك إلى حيفا في فلسطين وتولى هو توظيف آلاف السوريين واللبنانيين من العمال والمهندسين والفنيين للعمل في هذا المشروع.

وهو لا يكتفي بسرد أحداث حياته وفقاً للتسلسل الزمني ولكنه يأخذ العبر من تجاربه في الحياة ومن مخالطة العديد من الرجال العرب والأجانب ويستفيد من آرائهم وملاحظاتهم. فيتعجب مثلاً كيف أن صيادي الأسماك يقضون على الثروة السمكية باستخدامهم الديناميت وكيف أن جبالنا أصبحت جرداء لأننا نقطع الأشجار ولا نغرس أشجاراً مكانها.

كما يخبرنا عن كبار الشخصيات الذين عرفهم والذين يحفظ لهم الود والاحترام لما يتمتعون به من صفات حسنة ورجولة ومصداقية.

وهو الرجل الوطني المخلص لوطنه لا يدع فرصة تمر دون أن يثبت ذلك، صادق العزيمة، عمل بوصية أخيه رستم الذي كان بمثابة الأب والأخ والصديق والذي كان وزيراً للمالية في العراق واغتيل وقبل أن يسلم الروح قال له:

«أطلب منك أن تكون صادقاً مع وطنك لأن كل ذرة تراب في الوطن تفدى بالروح... كن مع وطنك دائماً ولو لم تصل إلى حقلك منه اعمل لوطنك بكل ما أوتيت من قوة وفكر وساعد».

وهو يتناول من حين إلى آخر بعض الأحداث التي تُظهر تردي الحياة السياسية في لبنان والمحسوبية والغش والسمسرة حيث يروي أن الشركة التي كان يديرها قد تقدمت للاشتراك بمناقصة دعت إليها الحكومة اللبنانية لشراء حافلات للنقل لمدينة بيروت شاركت فيها شركات عدة وبعد فتح الملفات تبين أن السعر الذي قدمته شركته هو الأدنى ولكن المناقصة رست على شركة فرنسية كان سعرها أعلى، فلا تسأل عن السبب !.

رغم الأعمال التي قام بها والوظائف التي شغلها كان يجد الوقت لينظم الشعر بالإنكليزية. بعض أدباء المهجر وشعرائه الكبار كتبوا بالإنكليزية أمثال: أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ولكنهم لم ينظموا الشعر بها. وفي لبنان شاعرات وشعراء كبار كثر نظموا بالفرنسية على رأسهم جورج شحادة ١٩١٠-١٩٨٠ ولكن لبنان لم يعرف شعراء نظموا بالإنكليزية أهم من جودت حيدر.

وهو صاحب رؤية وبعد نظر، فكر في مشاريع زراعية وصناعية عديدة جرى تنفيذها بعد عشرات السنين منها ردم قسم من شاطئ البحر بين بيروت وجونيه، وإنشاء مجمع ومسلخ حديث لاستيراد الماشية وذبحها وفقاً لشروط صحية وبيعها للمستهلك بأسعار متدنية. ولكن المشروع لم ير النور بسبب البيروقراطية وجشع المسؤولين.

ويروي قصة انسحابه من شركة «الكات» للمقاولات التي كان قد أسسها مع إميل البستاني وعبدالله خوري وشكري الشماس، هذه الشركة التي أصبحت ذات شهرة عالمية وباتت من كبريات الشركات في الوطن العربي، وذلك بناءً على نصيحة أحد أقربائه واعتقاداً منه بأن الجيش الألماني كان يتقدم على جبهة طبرق أثناء الحرب العالمية الثانية وإن ذلك سوف يؤدي إلى إيقاف أعمال الشركة والقضاء عليها، ولكن جيش رومل قد انهزم في الصحراء الليبية والمصرية واستمرت شركة «الكات» تنفذ التعهدات للجيش البريطاني المتواجد عندنا وتجنّي الأرباح الطائلة.

ولما كان كل شيء قسمة ونصيباً كما يقولون فقد كان اسمه قد أدرج في حكومة أحمد الداعوق لتولي وزارة الأشغال العامة ولكنه ما لبث أن استبعد لأسباب لا زال يجهلها!.

كما حاول أن يعمل في المجال السياسي فترشح للانتخابات النيابية ولكنه فشل أيضاً بسبب محاربته.

هذا الرجل المقدم صاحب الرؤية والهمة والمصادقية هو من سوء حظ لبنان أن أفكاره ومشاريعه بقيت بأغلبها دون تنفيذ، أو أن سواه تولى تنفيذها بطرق ملتوية فجاءت وبالاً بدلاً أن تكون ماءً زلالاً.

وهكذا حرم من عطف الدولة زمن الانتداب الفرنسي وكذلك زمن الاستقلال كما بقيت منطقة بعلبك الهرمل مهملة ولا تزال.

وهو يضع إصبعه على الجرح فيقول:

«الحكم في هذه البلاد وللأسف الشديد للمتنفذين، فالانتخابات النيابية تزور ويصل إلى المجلس النيابي من يوافق الزعماء على أهوائهم».

وهو يقارن بين ما يلقاه الشعراء والأدباء والمفكرون في الدول المتحضرة من احترام في بلدانهم وما هم عليه من إهمال في بلداننا. هناك يحافظون على منازلهم وأمتعتهم وكل ما كانوا يملكونه في حياتهم ويجعلون أماكنهم مزارات يقصدها الزائرون بينما نحن نهمل كل شيء.

ندّعي أننا قد تخطينا عصر النهضة فهل نحن فعلاً في نهضة!؟.

وهو يرى أن العلة في جمود اللغة العربية ليست فيها بل في أهلها، ويأخذ على الذين يدعون إلى إحلال اللهجات العامية بدل الفصحى.

ارتبط جودت حيدر بصداقات متينة مع كبار الشخصيات اللبنانية والسورية والعربية عامة وكذلك مع كبار الشعراء والأدباء. وهو يتمنى لو أن الصداقات والمواد تعود إلى صفائها وسالف عهدها كما كانت قبلاً لأن الوطن يرتكز على أسس الصفاء والحب والوفاء.

وهو اليوم قد بلغ من العمر عتياً إذ تجاوز السادسة والتسعين يحن إلى عهد الشباب ويطلب من ربه أن يهبه الصحة ونعمة المحبة وسلام النفس والوئام.

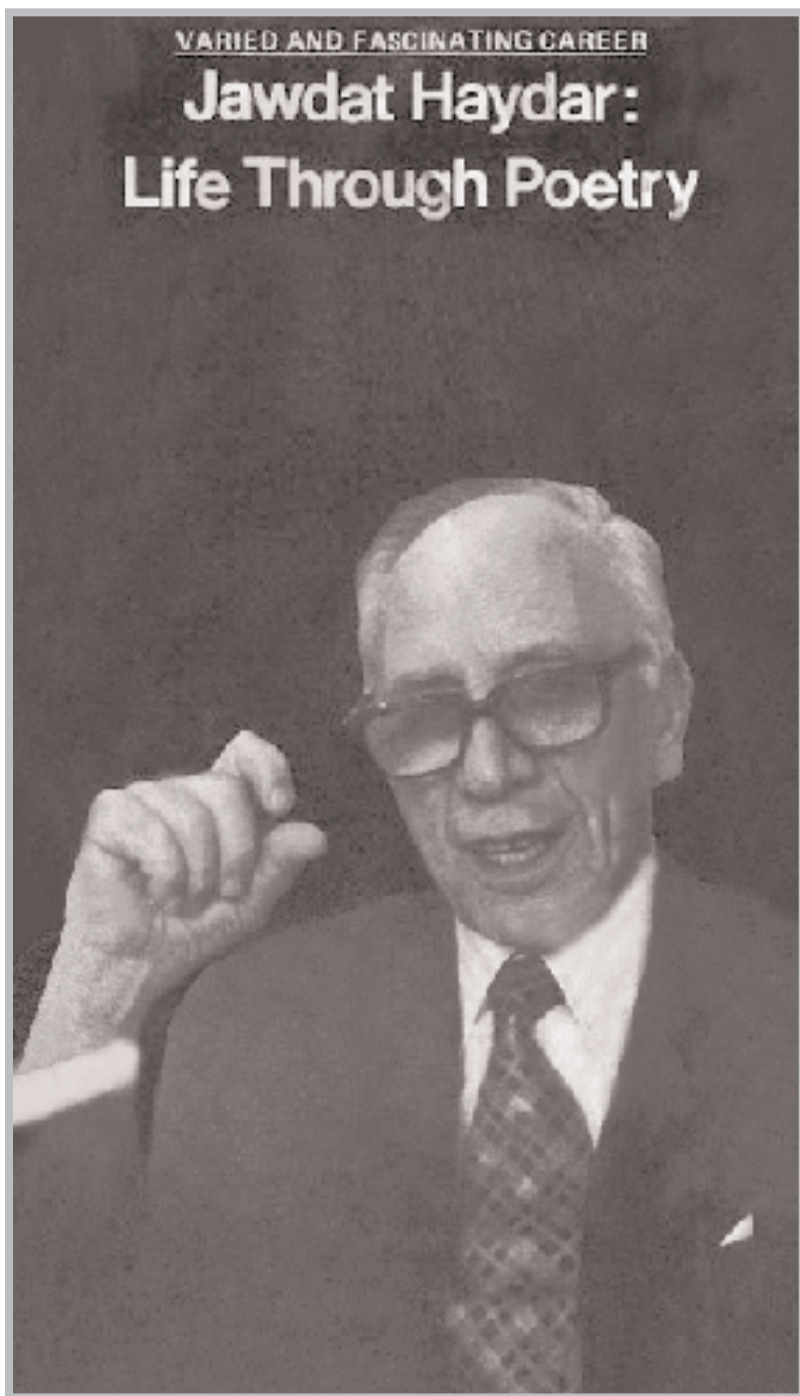
وهو لا يعرف الاستكانة والراحة فقد أسس مع ليف من أصدقائه الأدباء والشعراء وأهل الأدب مجمعاً أدبياً يدعى «واحة الأدب» في البقاع يعنى بجمع شمل الشعراء والأدباء والتعارف فيما بينهم وبترويج نتاجهم الأدبي وإدخالهم في الضمان. ومن مآثره إقامة مهرجان تكريمي حاشد للشاعر خليل مطران، شاعر الاقطار العربية، وابن بعلبك مدينة الشمس وترميم تمثاله الذي فُجر أثناء الأحداث لأنه يرى في ترميم التمثال دلالة على وحدة لبنان ورمزاً لتعايش طوائفه كافة.

هذه المذكرات ليست مدونة ولكنه يستمدّها من الذاكرة لذلك فهو يهمل بعض التواريخ أو يكرر بعض الأخبار.

وبعد، هذه سيرة رجل عاش حياة مديدة وكافح وجاهد وتركها للقارئ لكي يقتدي بها ويهتدي بهديها ويستنير بنورها ويستمد منها الشجاعة.

عاش في ظل الحكم العثماني والانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال ودخل في القرن الحادي والعشرين فخبّر الحياة حلوها ومرها.

فيا صديقي يكفيك أنك في ذكرياتك قد أمتعتنا وأفدتنا سلمت يداك! وحسبك أنك صادق مع نفسك وشاهد على العصر.



"Should I win my spurs today

I'll cross the frontiers of time

To write my name on the walls of tomorrow"

«إن بلغت ذراي اليوم

سأجتاز حدود الزمن

لأكتب أسمى على جدار الغد»

*** The Temple In Baalbeck*

Tourists were all eyes looking on Yesterday
The ancient enigma of the massive walls,
Where nature gave birth to Age residing stay
The strict guardian against Time in the halls.

Thunder bolts flashed to crack the adamant stone;
The flash was defied and the walls still stark stand
Against the contending years passing thus moan
Their failure to resolve the walls into sand.

The stones 'ere quarried from the hills of patience made
To build thus walls as thus by magic untold
This thisness but that thatness that held and stayed,
The aging heirloom against time never old.

Baal lived here down in the mouth left in rage;
Bacchus hacked the vine and buried the jars deep;
Zeus gathered sages and asked for a presage;
All said, "Shun the guardian who ne'er goes to sleep."

All creations are subject to birth and age
Various varieties that make the whole,
Thus the whole but groups of actors on the stage
Of them the fugitive gods who sent this call:

"Tourists, remember that the walls of Yest'rday
will ever be the home for Age living stay."

Jawdat Haydar

أعتمدت هذه القصيدة في المنهاج الرسمي لشهادة
البكالوريا اللبنانية، القسم الإنكليزي مع نبذة عن
حياة الشاعر جودت حيدر.

"Themes" p. 222-224

الفصل الأول

آل حيدر ونشأة جودت حيدر

آل حيدر ونشأة جودت حيدر:

في ٢٣ نيسان من عام ١٩٠٥ ولد الأديب الشاعر جودت بن رستم حيدر في مدينة بعلبك الأبية، التي كانت على مدى التاريخ رمز الإباء والشيم.

هو من عائلة كبيرة تعود بجذورها إلى قبيلة بني أسد العربية* في العراق، ويتحلى أبناؤها بسمات العرب الأقحاح وصفاتهم من رفض للظلم وحكم الغريب مهما علا شأنه وقويت شوكته.

اهتم آل حيدر بالأرض والوطن منذ وجودهم، فما أشرف القرن التاسع عشر على الانتهاء حتى بدأ هذا الاهتمام يأخذ أبعاداً متعددة، منها الوقوف في وجه الظلم العثماني، ومنها الاهتمام بالعلم والثقافة في البلاد وأوربا، ومنها الاهتمام بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية.

كان من الرعيل الأول الدكتور حسين خليل حيدر الذي ظهر ميله إلى العلم في سن مبكرة وأتم دراساته في فرنسا فنال شهادة الدكتوراه في الطب سنة ١٨٩٠. وما أن عاد إلى الوطن حتى دعاه الوالي التركي في الشام لزيارته، فلبى الدعوة، وأثناء الزيارة أخبره الوالي بمرض ابنته وعرضه إياها على أشهر أطباء الشام وتركيا دون جدوى، طالباً إليه الإشراف عليها، والاهتمام بها، فأدى الطبيب واجبه حتى تماثلت للشفاء. عندها ودع الدكتور حسين حيدر الوالي وعاد إلى بلده.

بعد فترة جاءه من الوالي تكليف بتعهد إنشاء سكة حديد تربط الشام والمدينة المنورة، فأرسل أخاه مصطفى بك حيدر الذي أدى العمل كاملاً.

* جاء جد العائلة الأول وهو من بني أسد من العراق، فسكن بعلبك، وكثر أبناؤه، وأحفاده حتى أضحت هذه العائلة من أهم العائلات في لبنان والعالم العربي.

ومن رجال آل حيدر الذين تلقوا علومهم في أوروبا وكانت لهم مكانتهم الاجتماعية والعلمية، الوزير والنائب والمهندس الزراعي إبراهيم بك حيدر الملقب بجبار البقاع والدكتور محمد يوسف حيدر الذي انتخب نقيباً لأطباء بيروت، والدكتور سليم حيدر، السفير والنائب والوزير والشاعر والأديب، والقاضي زاهد نافذ حيدر رئيس محكمة الاستئناف سابقاً، والمهندس الزراعي محمد مهدي حيدر، والمهندس فريد توفيق سليمان حيدر، والمهندس مصطفى توفيق سليمان حيدر، ومحمد رستم بك حيدر شقيق الشاعر الذي تخرج من جامعة استانبول بتفوق، ثم من جامعة السوربون في باريس، وعين قائم مقاماً في خربوط ديار بكر ثم مديراً لكلية الصلاحية في القدس الشريف، ومن هناك التحق بالثورة العربية الكبرى، ورافق الملك فيصل الأول في دخوله إلى دمشق كما رافقه إلى مؤتمر فرساي، ومن ثم إلى العراق، فكان وزيراً دائماً في العراق منذ سنة ١٩٢٣ حتى سنة ١٩٤٠، ما عدا عدة أشهر إثر انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٧، بدءاً بوزارة البلاط الملكي، فوزارة المالية، والاقتصاد، والمواصلات، وكان ينتقل بين هذه الوزارات بغية تحديثها وإصلاح الخلل فيها، كما كان نائباً ممثلاً للأمة في البرلمان العراقي. واغتيل في مكتبه في وزارة المالية سنة ١٩٤٠.

ومن تخرج من جامعات الآستانة: سعيد بك حيدر المناضل والمشرع الذي شغل منصب رئيس مجلس الشورى في سوريا، ونجيب بك مهنا حيدر مدير الطابو العام في الشام، ويوسف بك حيدر حيدر صاحب جريدة «المفيد» في دمشق، والمحامي يوسف مخير بك حيدر، والوزير صبحي بك حيدر والأديب لطفي حيدر صاحب جريدة الايضاحي - بعلبك.

وكان لرجال آل حيدر في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مكانتهم الاجتماعية والسياسية، وكانت بيوتهم مؤناً للضيوف، ولأصحاب الحاجات، ومكاناً لحل المشكلات المعقدة في المجتمع منهم:

سعيد باشا سليمان حيدر، وأسعد بك خليل حيدر، ومخير بك حيدر، ومصطفى بك حيدر.

ومن الرجال الذين حملوا راية الدفاع عن الوطن: توفيق بك هولو حيدر، ومعه كثير من المناضلين الحيدريين الشجعان، كما قدم آل حيدر للعروبة الشهيد صالح أسعد بك حيدر.

ومن آل حيدر المثقفين رستم بك حيدر، والد شاعرنا جودت حيدر، الذي كان يتقن اللغة التركية، ويشغل وظيفة المستنطق لمدينة بعلبك وجوارها، وأحد كبار ملاكي الأراضي في سهل البقاع.



بعض رجال آل حيدر يتوسطهم صبحي بك حيدر

تزوج والد شاعرنا إحدى قريباته تدعى «طفلة» وهي ابنة سعدون الحاج سليمان حيدر فأنجبت له ثلاثة صبيان هم حسين ومحمد، الذي عرف برستم، وجميل، وثلاث بنات هن: نائلة ولطفية وعرفية.

ولما توفيت زوجته «طفلة» تزوج ثانية السيدة شاهينة بنت قاسم ناصيف زعيتر، فأنجبت له أربعة أولاد هم: محمود، مصطفى، جودت، ويوسف الذي توفي في سنّ الرضاع، وابنة واحدة سميت فاطمة توفيت في سن الطفولة.

وكما جاء سابقاً، إن آل حيدر اهتموا بالثقافة والعلم، فنال كثير منهم الشهادات العليا من الآستانة وأوروبا وأميركا، كذلك اعتنوا بتعليم بناتهم وتثقيفهنّ، فكانت لطفية شقيقة شاعرنا مديرة مدرسة بعلبك للإناث، وعرفية مديرة مدرسة بدنايل للإناث، يوم كانت الأمية غالبية على أكثر بنات ذاك الزمان.

يقول الأديب الشاعر جودت حيدر:

«عاد والدي وعائلته من منفاه في الأناضول، نحيل الجسم، طاعناً في السن، وعاش حتى كانت وفاته رحمه الله سنة ١٩٢٥ عن عمر يناهز الثانية والثمانين.

كنت آنذاك في الولايات المتحدة أتابع الدراسة والتحصيل. أعلمت نبأ وفاته في رسالة من أخي محمد رستم يخبرني فيها ويعزيني.

واليوم، وقد مضى والدي وإخوتي وأخواتي وزوجتي مليحة وابني الوحيد بسام إلى بارئهم، وصبرت على مصائب متلاحقة أقول:

صبرت و شربت الصبر

وأنا صابر في حديقة الصبر

رومن أتاني يراني كالزمان

صا برأ علی صبري

ما إن هبت رياح الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ حتى قررت الدولة العثمانية تحصين جبهتها الداخلية بالقضاء على أية حركة قد تظهر، مدركة أن العرب لا بدّ سيتحركون ضد الاستبداد والجور، وأن تحت الرماد ناراً لا تلبث أن يعلو أوارها في أول فرصة سانحة فأطلقت يد جمال باشا وزير البحرية على هذه البلاد، فكان له على النفوس والأموال من الجور والتعسف ما لا يوصف، وتحرك الشعب مندداً بالظالم السفاح، وفكر بطريقة للخلاص، لكن الظالم كان في سباق مع الزمن فاعتقل من اعتقل، ونفى من نفى، وأعدم من أعدم، ومن بينهم الشهيد صالح أسعد حيدر، وسلّط عيونه وجواسيسه على الناس، وكان لآل حيدر نصيب من ظلمه وجوره. ولهم بالمقابل نضال ضد استبداده، فاستشاط غضبه، وازداد حقه، فصدر سنة ١٩١٤ مرسوم قضى بنفي آل حيدر رجالاً ونساء إلى بلاد الأناضول ونفذ فوراً.

بقيت عيون جمال باشا لا تهدأ ليل نهار، وبقيت تهديداته تتوالى، لكن الشعب الأبى في بعلبك لم يرضخ ولم يستكن، إذ بقيت ثلة من شباب آل حيدر لم تستجب لمرسوم النفي، تصارع العثمانيين فأصيب الدكتور محمد حيدر في معركة اللبوة في كتفه، وقتل من الدرك التركي ثلاثة أفراد وكان الذي فك الحصار ابن عمه علي سليمان حيدر.

أما المرأة الحيدرية فوقفت إلى جانب أخيها في نضاله ولم تهن.

وقد وقفت السيدة زينب أسعد بك حيدر، أخت الشهيد صالح حيدر وإبراهيم بك حيدر في طليعة المناضلات وعملت بصمت وقوة وإصرار على أداء الواجب.

ومن أعمالها التي سجلها لها التاريخ أنها قبل تعليق مشانق الشهداء كانت تعرف من مصادرها الوطنية مكان الأوراق السرية والمحاضر التي كانت تكتب أثناء الجلسات المغلقة، وفي هذه الأوراق أسماء الأحرار العرب العسكريين والمدنيين الذين يجهلهم الحكم العثماني، ويعمل جاهداً معرفتهم عن طريق الوصول إلى هذه الأوراق والكشف عن هؤلاء الأبطال الذين يقضون مضاجع الدولة العثمانية. ولما أدركت أن هذه الأوراق أهم من الحياة ذاتها، قامت في ليلة سجلها التاريخ ومضت من بعلبك على متن عربة وسط الظلام. ولكي لا يشك فيها أعوان السفاح وجواسيسه لم تصحب معها إلا رجلاً واحداً هو سائق العربة.

راحت تحت جناح الليل وشراسة البرد القارس، والعواصف الثلجية حتى وصلت إلى هدفها المنشود وهو بيت المحمصاني في عاليه، وكانت تعرف مكان الأوراق المدفونة تحت بلاطة في غرفة الجلوس المفروشة بالسجاد.

دخلت البيت وأزاحت البلاطة، ثم أخرجت الأوراق وأحرقتها وألقت بقاياها في المرحاض، وعادت أدراجها بهدوء وأناة، متابعة طريقها إلى دمشق، حيث أخبرت الرئيس شكري القوتلي بما فعلت، ثم رجعت سريعاً إلى بلدها لتواصل النضال، ولا هم لها إلا مساعدة إخوانها، وتخليص وطنها من الظلم والظالمين.

لقد خلصت السيدة زينب حيدر البلاد من مجزرة كبيرة، ونجّت من حبل المشنقة رجالاً راحوا يعملون لتحرير وطنهم من نير الاستبداد.

وجدير بالذكر أن السيدة زينب كانت تمتاز في حياتها بالرأي السديد، والفكر الثاقب، والشجاعة النادرة، واقتحام المخاطر، إضافة إلى ثقافة عالية وعلم.

لقد تزوجت السيدة زينب فيما بعد المحامي يوسف مخير بك حيدر، فكانت موضع احترام وتقدير القاصي والداني، وكان يؤخذ برأيها في الملهمات الجسام.

في عام ١٩١٧ أحست الدولة العثمانية بأن نتائج الحرب العالمية الأولى لن تكون لصالحها وإن المنفيين عبء ثقيلٌ عليها فأصدرت عفوها عنهم وأعادت كلاً منهم إلى بلده، فعاد آل حيدر إلى بعلبك وبدنايل واللبوة بعد غيابٍ طويلٍ في بلاد الأناضول. لكن النضال الحيدري استمر ضد الظلم. وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى وجلا الأتراك عن البلاد بدأت مرحلة جديدة من النضال ضد الفرنسيين.

لقد حمل الكثيرون من آل حيدر السلاح وعلى رأسهم المحامي يوسف مخير بك حيدر الذي تصدّى للجيش الفرنسي القادم إلى بعلبك، وقاومهم مع رجال من أبناء المنطقة غير أن القوى لم تكن متكافئة، فدخل الفرنسيون المدينة عنوة.

كما جاء سابقاً أنه في سنة ١٩١٤ أدرك السفاح جمال باشا أن آل حيدر في بعلبك وبدنايل واللبوة خطر على الدولة فقصى بنفيهم إلى بلاد الأناضول حيث فرقوا هناك في بلاد متباعدة متناثرة.

لم يبق منهم في البلد إلا القليل، ومنهم: جودت حيدر نظراً لصغر سنه، وأمه.

توفيت والدته جودت حيدر في صيف ١٩١٤، وامتنع وكلاء الأراضي عن إعطائه بعض حقه من المال ليعيش منه، وهنا فكر الصبيّ فوجد الحل الوحيد أن يلحق بأبيه وإخوته إلى بلاد المنفى..

اختار جودت حيدر وهو في الثامنة من عمره النفي ليلحق بعائلته، وأصرَّ عليه. كانت رحلته إلى بلاد الأناضول بقسوتها والعقبات التي أحاطت بها أول سبب في أن يتحطم أمام ضربات الحياة القاسية، أو يصمد قوياً في وجهها فينتصر ويتابع الانتصارات حتى اليوم.

يصف لنا الشاعر الأديب رحلة العذاب القاسية إلى المنفى، وقد اختارها بملء إرادته.. فيقول:

«كانت المرارة تملأ قلبي والشوق لأبي المنفي وإخوتي يغمر نفسي، ولكن شيئاً كان يرضيني، وهو أنني بجانب أم رؤوم تحنو عليّ، وتغمرني بالعطف والحنان، وترى الدنيا كلها بوجودي إلى جانبها وأجد نفسي بقربها..

وفي يوم أسود قاتم لفظت والدتي آخر أنفاسها منتقلة إلى جوار ربها أمام ناظري متأثرة بمرض التيفوس اللئيم الذي كان يقضي على الكثير من أبناء البلاد دون رحمة أو شفقة أو حساب وكنت آنذاك في الثامنة من العمر.

لقد أحسست بالوحدة القاسية.. لا أحد في البلاد أمت إليه بصلة.. أهلي منفيون في بلاد بعيدة..

فتشت عن حلّ فوجدت الحل في الذهاب إلى المنفى.

ذهبت إلى الموظف (الكومسيير) سليم أفندي، وطلبت منه إلحاقني بأبي وإخوتي في ياني شهر بورصا في بلاد الأناضول.. وكان جوابه: اذهب يا ولد.. ليس لديّ وقت لك.

كان كلام سليم أفندي قاسياً عليّ، وزاد من إحساسي بقسوته تلك الظروف المحيطة بي من كل جانب..

أجبت: إذا لم تتدبر الأمر بإلحاقني بوالدي، فسأرسل تلغرافاً إلى جمال باشا أشرح له ظروفني وأطلب منه إلحاقني بأبي.

أحسنّ سليم أفندي بإصراري، ونظر إليّ مليّاً، وكأنما كانت في تلك اللحظات تدور في نفسه أشياء وأشياء..

تراجع عن كلمته، وهدأ من روعي قائلاً:

سأتدبر الأمر، وسأعمل على إرسالك إلى أبيك، وستسافر مع مجموعة من أهل البلد

يمكنني الاطمئنان عليك برفقتهم وهم: شخص من آل قرعة، وامرأة الدكتور يوسف فضول، وجان بك الملحمي وبناته.

أحسست عندئذ أن الأمر قد حلّ، وأن الرجل ينبغي أن يكون صلب العود قويّ الإرادة لا يتراجع عن طلبه الحق، ولا يرضخ مهما كانت المجابهة قاسية.. وشعرت بالراحة والفرحة بقرب لقائي أبي وإخوتي.

حدّد الوقت لرحلة لم أكن أعرف عنها شيئاً، ولا ما يخبئ لي فيها القدر من متاعب ومشقات.. ورغم تنكر وكلاء أراضينا وطمعهم في الموسم الزراعي، فقد حاولوا إظهار أنفسهم وتصرفاتهم بمظهر لائق، فاشتروا لي معطفاً، وحطاطة ألفها على رأسي، وأعطوني أربع عشرة ليرة تركية، وأشبعوني بكلمات الحب وتمنيات الوصول إلى أهلي بالسلامة.

ومضى الركب وأنا معهم في القطار الذي كان وقوده الحطب، لا أحسب للتعب حساباً، ولا آبه بالمشقات.. كان همّي الوحيد أن أصل إلى أبي وإخوتي..

وما أن وصلنا إلى حلب الشهباء حتى كان ما لم يخطر لي ببال، فقد أخذتنا السلطات العثمانية إلى سجن القلعة ثم افرجت عنا في اليوم التالي.

لم تكن حلب آخر المطاف في رحلة العذاب التي كتبتها عليّ وعلى أمثالي يد العثمانيين الذين كان الحقد على العرب والعروبة يجري في عروقهم.

تحرّك الركب متجهاً إلى ولاية أضنة في تركيا، وذقنا في طريقنا المشقة، وأمضنا التعب، وأرهقنا التفكير.. إنها طرقات نسي المسؤولون تأهيلها لانشغالهم في أشياء أخرى غير العمل على راحة الناس وتأمين الحد الأدنى، وفتشنا عن فندق يؤوينا ريثما يسمح لنا بالانتقال إلى بلد آخر.. ثلاثة أيام مرّت مرّةً في حلقي وعلى نفسي وأعصابي، وأقسى ما كنت أعانيه خوفاً الشديداً من أن ينقطع بي السبيل لقلة المال أو انعدامه.

وراحت الأفكار تتزاحم كال موج في رأسي حتى أحسست بالدوار أكثر من مرة.

ليس معي أجرة الفندق. طلبت من إلياس الملحمي، وهو رفيق الرحلة القاسية وصديق والدي، بعض المال، وكان الجواب أقسى من الرحلة بكل قسوتها ومشقاتها، إذ قال: أنا مسافر، ولا أدري إلى أين. لا يمكنني إعطاؤك شيئاً.

اغرورقت عيناوي، وأحسست أن الأيام تحاول تحطيم كبريائي... مضيت إلى صاحب الفندق لأقول له إنني لا أستطيع دفع الأجرة.. في ظني أنه سيقدر ظروفني وصغر سني بدافع من شهامة أو إنسانية، ولكن جواب الرجل جاء مخيباً لآمالي، وأحسست أن قلبه قد من صخر أصم.

قال: ضع معطفك على كتفك الأيسر وامض إلى الشارع، وهناك قرب الفندق من يشتريه منك.

وغلت حمى الأفكار في دماغي...

أبيع معطفي لأسدّد بعض النقود لصاحب الفندق؟

لكن لماذا يتميز رجال بالرجولة والصلابة والشجاعة وآخرون بالجبن واللؤم والخور؟ تماسكتُ وحدثتني نفسي قائلة: ما قيمة المعطف، ليذهب، وليكن لك في المستقبل أن لا ترى محتاجاً إلا تمدّ له يد المعونة.. أليس البخيل يعلمنا الكرم أليس الجبان يملأ قلوبنا شجاعة؟ أليس الحقود يعلمنا التسامح؟

هبطت من الفندق حاملاً معطفي وبدأ المتجمعون يساومونني على سعره.. وأخيراً بعت المعطف باثنتين وأربعين ليرة تركية، وسدّدت لصاحب الفندق ما عليّ من أجرة.

من أضنة إلى قونية

حملنا الجنود الألمان بسيارة شحن ألمانية كمتاعٍ حربيّ بلا اهتمام بإنسانية الإنسان.. وراحت السيارة تهدر بصوت مزعج يصم الآذان، ويزيد في الإزعاج والآلام تسلق مرتفعات جبال بوزنطي، وضراوة الطقس حتى أحسست بأني أنهار

رويداً رويداً، ويمسكني عن السقوط والتلاشي نهائياً أمل يداعب خيالي بين الحين والآخر هو الوصول إلى أبي وإخوتي، وكبرياء عربية تغلي في عروقي.

تماسكتُ، غير أن المأساة أخذت تتعاضم، وزادها فقدان المال ضراوةً، فكرت ملياً في الماضي والحاضر والمستقبل المجهول، فخيمت على وجهي سحابة من الكآبة.

عند وصولنا الى قونية التفت إليّ ابن قرعة وسألني عن وجومي فأخبرته بأني لم أعد أملك شيئاً من المال.

عندها ربّت على كتفي وقال لي بحنان: لا تهتمّ... سنتعاون. واصطحبني إلى المخبز.

انتظرنا قليلاً ريثما يصبح الخبز جاهزاً، ورحت أنظر إلى الشارع بلا هدف، وإذا بي أرى رجلاً طويلاً يرتدي جبة وعمامة، ويحمل في يده بسطوناً (عصاً).. حدقت فيه وإذا هو الحاج أحمد الحاج سليمان حيدر، أخو خالتي زوجة والدي رحمها الله فامتلاً قلبي فرحاً.. وأسرعت حتى لحقت به وضممته ضمة تظهر الفرحة في كل حركة من حركاتها...

نظر إليّ والدهشة بادية على وجهه وقال: أولان أولان جودت.. ما الذي جاء بك إلى هنا؟

وأخبرته القصة..

مضيت مع الحاج أحمد إلى منزله الذي خصصته له الدولة العثمانية، وفي الطريق أخبرني أن ابن عمتي توفيق سليمان حيدر يقطن في نفس البناء في الطابق العلوي. لقيت ابن عمتي، وأحسست بأن حاله كحال غيره من المنفيين من آل حيدر، يعاني قلة المال ويحسب ألف حساب لليرة التركية التي يصرفها في أزمة لا يعرف متى تنتهي.

بقيت في بيت توفيق حيدر ثلاثة وعشرين يوماً، وجاء الأمر بأن نتقل إلى ولاية أسكي شهر في تركيا أيضاً..

أعطاني ابن عمتي كتاباً إلى حسن بك حيدر المنفي في ذلك البلد، وزودني بثلاث عشرة ليرة تركية هي كل ما كان في حوزته من مال تاركاً تدير الغد لربّ الغد..

ما أن وصلت إلى إسكي شهر حتى بدأ فصل جديد من الرحلة المأساة..

جاءني الأمر من المتصرف التركي في المدينة بأن أدفع للعسكري الحارس الذي سيرافقني إلى البلاجيق أجره السفر والمرافقة.. واعتضت، وأصرّ العسكري في الطلب.. عندها طلبت منه أن يأخذني إلى المتصرف، وما أن رأيته حتى بادرنى: من أنت؟

قلت: أنا جودت حيدر.

قال: «جودت حيدر بيوك أضم».. أي رجل كبير السن.

امتلأت نفسي بالسخرية، وكدت أضحك مقهقهةً، لكنني تماسكت وقلت: أنا جودت حيدر، وليس لديّ مال، فمن أين آتي بأجرة العسكري الذي سيوصلني إلى البلاجيق؟

تفهم المتصرف الوضع وقال:

«بيكي» أي لا تدفع اذهب..

زودني حسن بك حيدر بكتاب إلى السيد عمر الأتاسي وودّعني.. ورافقني العسكري في رحلة لا تختلف عن سابقتها..

وصلت إلى البلاجيق، وسألت عن عمر بك الأتاسي الذي مرّ في تلك اللحظات صدفةً، فعرفوني به، وقدّموني إليه.

سلمته كتاب حسن بك حيدر، فدعاني إلى منزله. وأثناء سيرنا صادفنا صبري العسلي وأخاه فسألاه عني فأجابهم بأني أخو محمد رستم حيدر فأصرّا على أن أكون بضيافتهما..

وما أن وصلنا إلى منزل آل العسلي حتى بدأ السوريون يتوافدون إلى البيت زرافات ووحداناً يتعرفون إلى الضيف الجديد الوافد من البلاد الحبيبة، وعمر الصالون بالرجال، بينما بقيت النساء في باحة المنزل الداخلية.

أخذت أتلقي الأسئلة من هنا وهناك، وأنتقل من مقعد إلى آخر لأجيب سائلاً في ناحية وآخر في ناحية ثانية وكنت أرفع صوتي لسمع النسوة أخبار أهاليهن وبلادهن وهن ينتجن..

في تلك السهرة عشت مأساة المنفيين، وأدركت مدى معاناتهم، وعرفت معاني الوطنية كاملة، وأن ذرة من تراب الوطن تستحق أن تفدى بالأرواح.. وبينما كنت أتحدث، وأجيب عن الأسئلة التي كثرت عليّ أصابتنى سنة من نوم نتيجة التعب ومشقة الطريق.

وما أن استيقظت حتى رأيت الصالون خالياً، ووجدت فراشاً ممدوداً على الأرض عرفت أنه قد أعد لي.

استلقيت على الفراش وأردت الإخلاء إلى النوم، لكن لأسباب كثيرة لم ينطبق لي جفن، وطار النعاس من عينيّ.

في الصباح جاءت العربّة لتنقلني إلى آخر محطة من رحلة العذاب الممضّ.. جاءت لتنقلني إلى ياني شهر منفى والدي وإخوتي. استغرقت الرحلة عدة ساعات كنت خلالها أتنشق الغبار مع الهواء. وما أن وصلت إلى ذلك البلد حتى استقبلني أبي وإخوتي وأخواتي وتلاّأت الدموع في العيون، بكى والدي بصمت، لكنني كنت أرى عينيه تذرفان الدمع مدراراً، كأن هذا الدمع ينمّ عن قلب أبي الذي يتفطر فرحاً بوصولي.

وحلّق إخوتي حولي، وأبى بكاء أختي نائلة أن يتوقف.

حلّقوا لي شعري بالموسى، وأعطاني إخوتي ثياباً لأن الرحلة بما فيها من مأس قد جعلت ثيابي غير صالحة.

بقينا في ياني شهر مدة سنة تقريباً، وفي أثنائها فرّ أخي محمود، وعرفنا بوصوله إلى قونيه، ثم انقطعت عنا أخباره نهائياً حتى اليوم، أما نحن فانتقلنا إلى البلاجيق بأمر من الحكومة، وبقينا هناك حتى سنة ١٩١٧ حيث صدر العفو عن جميع آل حيدر، وانتهى النفي، وعدنا جميعاً إلى الوطن لنتشبت به وبأرضه.»

الفصل الثاني

التحصيل العلمي

التحصيل العلمي

أ- مرحلة التحصيل العلمي في لبنان وفرنسا

يتحدث جودت حيدر عن تحصيله العلمي فيقول:

«سنة ١٩١٧ عدت من المنفى إلى بعلبك مؤمناً بأن طريق العلم والمعرفة هي الطريق المثلى. واخترت طريقي، وصممت على الوصول إلى غايتي متخذاً سيرة أخي محمد رستم نبراساً ينير لي الطريق.

في تلك المرحلة كان صبحي بك حيدر ابن سعيد باشا سليمان حيدر (مير ميران) يشغل منصب قاقائ مقام بعلبك، وكان أمين سره رجلاً من الجنوب اللبناني هو الشاعر أديب فرحات يحمل شهادة B.A من الجامعة الأميركية، ويتقن اللغة الإنكليزية، إضافة إلى ثقافة عالية، ويتمتع بشاعرية ممتازة.

اجتمعت وأتراباً لي، من تلامذة المدرسة الإنجيلية في بعلبك، التي كان يرأسها المعلم خليل، ومضينا إلى أديب فرحات، وطلبنا منه تخصيص بعض وقته لتدريسنا اللغة الإنكليزية، فكان عند حسن ظننا، ودرّسنا اللغة قرابة ثمانية أشهر.

أثناء ذلك مرّ ببعلمك الدكتور سميث رئيس قسم اللغة الإنكليزية بالكلية الأميركية في رأس بيروت. SPC طلبنا منه الانضمام إلى الكلية، فأجرى لنا امتحاناً باللغة الإنكليزية كانت نتيجته نجاحي مع إبراهيم وزكي، وكلنا من آل حيدر، وإعلان رئيس الكلية قبولنا في الصف الأول الاعدادي في الكلية.

أخبرت شقيقي رستم بنجاحي وطلبت معاونته مادياً وانتظرت....

وشاءت الظروف أن يمرّ الأمير زيد شقيق الملك فيصل ملك العراق ببعلبك في طريقه إلى دمشق، فانتهزت الفرصة لأقابلة في محطة القطارات، ولاعلمه بأني حتى ذلك الوقت لم أستلم الحوالة المالية من أخي محمد رستم لتسديد القسط الدراسي.

مضيت إلى المحطة، وقابلني رئيس البلدية مهدي بك حيدر، الذي لم يكن يعرفني، وما أن طلبت مقابلة الأمير حتى قال لي:

اذهب يا ولد.. الأمير مشغول.

نظرت فإذا باب غرفة الأمير مفتوح، فمررت من تحت يد مهدي بك ودخلت على الأمير بسرعة، وحييته وقلت:

أنا أخو رستم حيدر، جئت لأعرض لك موضوعاً يتعلق بي.
قال: تفضل، استرح.

بدأت الحديث سريعاً ومقتضياً قلت: تقدمت بامتحان إلى الجامعة الأميركية وقبلت في الصف الأول الاعدادي، ووعدني أخي رستم بإرسال حوالة لكن لم تصلني حتى الآن، ولم يبق إلا ثلاثة أيام حتى تفتح الكلية أبوابها..

أرجو سموكم مساعدتي...

وجاء الجواب مقتضياً: الحق بي إلى الشام.

أحسست باهتمام الأمير، وبالراحة. وأملت بنتائج طيبة.

في دمشق مضيت لمقابلة سمو الأمير زيد، ولكنني في ساحة المرجة رأيت أحد أقاربي محمود شبلي حيدر، فقال لي: «لقد سجلك الأمير زيد طالباً في مكتب عنبر».

كانت صدمة عنيفة لي، وقلت: «لكنني طلبت تسجيلي في الكلية الأميركية لا في مكتب عنبر».

قال: هذا ما حدث.

وبينما كنت أفكر اقترب مني أحد أبناء العائلة وقال لي: «لقد وصلت حوالة من أخيك محمد رستم، ويمكنك مراجعة مدير الطابو العام بدمشق نجيب بك مهنا حيدر الذي أصبح وكيلاً عنك منذ الآن.

أتلج الخبر صدري وغمرني بالفرح ومضيت بسرعة برفقة قريبي إلى بيت نجيب بك حيدر حيث قال لي: «يمكنك الآن الذهاب إلى الجامعة الأميركية، وهذه هي النقود».

في اليوم التالي كنت في الجامعة الأميركية ببيروت حيث انتسبت للعام الدراسي ١٩١٨-١٩١٩، ودفعت القسط المترتب عليّ، ثم مضيت مع إبراهيم وزكي حيدر لنستأجر بيتاً.

عرفت منطقة الحمراء أرضاً تغطيها أشجار الصبار، ويزرع في بعضها الفجل والبصل والبقدونس وغيرها من الخضار التي يهتم بها أصحاب الأرض ليؤمنوا بثمنها بعض حاجياتهم.

مضت السنة الأولى من دراستي، وكنت دائماً أفكر في المستقبل، وأفتش عن الأفضل.

لذا قررت أن أقضي بقية الدراسة في القسم الداخلي للكلية، وذلك أفضل للدراسة والرياضة التي بدأت تستهويني، وتستغرق بعض وقتي.

في السنة الدراسية الثانية أمسكت بأمريين مهمين: الدراسة، والرياضة. وكنت من المجلّين في اللغة الإنكليزية والتاريخ والجغرافيا.

وكان لي رفاق في الكلية أصبحوا فيما بعد من الرجال الذين يشار إليهم بالبنان، ومن هؤلاء دولة الرئيس عادل عسيران، رفيق الدراسة، الأديب الكبير سعيد تقى الدين، معالي الأستاذ كاظم الخليل، عطوفة الرئيس أحمد الأسعد، الأستاذ عبدالله أديب، معالي الأستاذ حليم نجار، الدكتور صبحي الحمصاني، علي هارون الذي أصبح فيما بعد نائباً في المجلس النيابي السوري.

تفوقت في مجال الرياضة.. وأحببت كرة السلة، وبرعت فيها، وأصبحت رئيساً
للفريق طيلة دراستي في الكلية.



جودت حيدر يتوسط الأمير سعيد شهاب إلى يمينه، عبدالله أديب إلى يساره، ثم عبده صعب،
جواد العظم والمدرّب «كلاتز» سنة ١٩٢٣

أقف الآن عند ذكرى معلم لي في الجامعة الأميركية ملك عليّ إحساسي، وكان مثار
إعجابي ومبعث احترامي وتقديري وهو الأستاذ حسن كامل الصباح مدرّس الجبر
والهندسة.

بعض الناس أقوى من الزمن، لا تستطيع يده أن تمحوهم أو تشوّش صورتهم..
وكيف يمحي من خط على صفحة الدهر والتاريخ صفحات خالدة، وقدم للإنسانية
بعض ما تنعم به..

إن سيرة حسن كامل الصباح واكتشافاته سجلها له العلم بإجلال تضيق عنها بطون كتب.

تسجلت في الجامعة الأميركية لصف Freshman، لكنني كنت مصمماً على الانتقال إلى أميركا لدراسة الزراعة.

أرسلت طلب انتساب إلى كلية الزراعة في جامعة AM & C, College Station بولاية تكساس مرفقاً أوراق الثبوتية وشهادة من الجامعة الأميركية في بيروت.

وبعد فترة جاعني الجواب من الجامعة بالقبول، ولكن القنصلية الأميركية في بيروت رفضت إعطائي تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة الأميركية، فكان هذا الرفض صدمة لي.

تركت الجامعة الأميركية في بيروت، وذهبت إلى بغداد حيث التقيت أخي محمد رستم، وكان يومها وزيراً للبلاط الملكي في العراق، فأخبرته بما جرى، واستشرته في الذهاب إلى فرنسا فأعجبته الفكرة وقال: جيد. سأرسل لك سيارة إلى فندق Mode الساعة الرابعة لتأتي وتشرب الشاي مع جلالة الملك فيصل.

وصلت الساعة الرابعة إلى البلاط الملكي، وجلست مع أخي في حديقة البلاط وبعد فترة قصيرة جاء جلالة الملك فيصل وجلس معنا.. ومازحني جلالته قائلاً: «ما شاء الله أنت طويل وطربوشك طويل.»

فأجبت جلالته: أطل الله عمرك يا سيدي

وقد كان الطربوش في تلك الأيام على أنواع مختلفة، منها الطويل، ومنها القصير، ولقد شاع الطربوش الطويل في مصر زمن سعد زغلول باشا، وانتقلت العدوى إلى بيروت حيث صارت شائعة.

وفيما كنا جالسين نشرب الشاي أطل علينا الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري، وكان آنئذ موظفاً في البلاط الملكي، وما أن رأانا حتى سأل عنمن يجلس بحضرة الملك مع رستم حيدر.

فقيل له: إنه جودت شقيق رستم حيدر.

وكانت المرة الأولى التي رأي فيها محمد مهدي الجواهري ورأيته، عن بعد.

شربت الشاي مع جلالة الملك وأخي، ثم سألني جلالة الملك فيصل عن الاختصاص الذي يستهويني فأجبته: الزراعة.

عندها سألني: لماذا لا تدرس «Architecture» الهندسة المعمارية؟.

فأجابه أخي رستم: يظهر أن جودت لا يميل إلى الرياضيات.

بعدئذ تشعبت الأحاديث، ووجه جلالته إليّ بعض نصائح لا أنساها.

وعندما انتهت الزيارة شكرت جلالة الملك على حفاوته .

في اليوم التالي ودعت أخي، وغادرت بغداد على متن سيارة يقودها فرنسي، وفي عرض الصحراء شاهدا رجلاً وامرأة واقفين أمام سيارة (رولزرويس) يلوحان لنا بأيديهما فتوقفنا، سألناهما عن حاجتهما فطلبنا منا إيصالهما إلى دمشق لأن عطلاً طراً على سيارتهما، وأخبرانا أنهما من الجنسية الإنكليزية، فاصطحبناهما معنا. وفي دمشق ودّعانا وتابعنا طريقنا.

وصلت إلى بعلبك وبقيت يوماً واحداً ودّعت فيه والدي وأخبرته بأنني سأمضي إلى فرنسا للدراسة، فدعا لي بالتوفيق والنجاح.

وفي بيروت اشتريت بطاقة سفر على متن الباخرة «بلگرانو» وما كنت بحاجة إليه.

ولما صعدت إلى الباخرة أحسست أنني أفارق أعزاء على قلبي: أهلي، رفاقي في الجامعة وبحر بيروت، وراحت الذكريات تتوالى حبيبة إلى نفسي.

وبعد سنين وسنين عديدة رجعت بالذاكرة وقلت:

Out of harbour at dawn sailing away
Looking back, Beirut a glint in my eyes
Gleaming at the heart of the world to stay
A star shell of glory that never dies.

"Echoes" P. 47

الترجمة:

مبحراً بعيداً خارج المرفأ مع انبلاج الفجر
نظرت خلفي فإذا بيروت في عيني ومضة
تتوهج في قلب الدنيا تبقى
نجمة البحر مجداً لا يموت

ومضت الباخرة في عرض البحر تسير سيراً هيناً تطمئن له نفس المسافرين، لا سيما أولئك الذين لم يركبوا البحر من قبل أمثالي، لكن: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن.. فما أن اقتربنا من جزيرة كريت حتى هبت عاصفة هوجاء، وأخذت المياه العاتية تضرب جوانب السفينة، وترتفع من فوقها.

أحس الركاب أن الأمر في غاية الخطر.. لقد راحت السفينة تميل تارة على جانبها الأيمن، وأخرى على الجانب الأيسر..

وبدأ كل من عليها يعيش الانتقال من جانب الرجاء بالخلاص إلى جانب الخوف الشديد من الغرق..

بقينا في البحر على هذه الحالة من القلق والخوف ثلاثة أيام متواصلة لا تهدأ العاصفة ولا يهدأ للناس بال...

مضت الأيام الثلاثة تاركة في نفوس الركاب الرعب القاتل، وانتظار ساعة الموت غرقاً..

وشاء الله أن تهدأ العاصفة بشكل مفاجيء كما بدأت وعاد البحر كما يقال كالزيت واطمأنت النفوس وهدأت بعد معاناة عنيفة، وكانت المسافة التي قطعناها في هذه الأيام المربعة اثني عشر كيلومتراً فقط.

لم تمر خمس دقائق على سكون العاصفة حتى نسي المسافرون خوفهم وبدأوا بالرقص والغناء، غافلين عما مرّ من صعاب في مواجهة العاصفة غير أن الفرحة لم تكتمل، فقد أخبرنا الرّبّان أنه مضطّرّ إلى الاتجاه نحو الجزائر بدلاً من المضيّ إلى مرسيليا، وذلك لعطل بسيط طارىء في الباخرة..

وساور المسافرين الخوف من جديد، فأصيب بعضهم بالهلع، وتماسك الآخرون. أما أنا فكل ما كان يدور في خلدي أن هذا الذي يحدث يؤخّر وصولي إلى مبتغاي..

وصلنا إلى الجزائر دون أية مفاجأة، ونزلنا في فندق من فنادق المدينة بانتظار إصلاح الباخرة، ومضت ثلاثة أيام كنت أعلّدها بالثواني..

في أحد هذه الأيام وبينما كنت أمشي في الممرّ الداخلي للفندق مرّ من أمامي رجل، نظرت إليه بإمعان فعرفت أنه ذلك الإنكليزي الذي نقلناه وزوجته من الصحراء إلى دمشق بدافع إنساني وخلصناهما من براثن الخوف والرعب.

حييته بالإنكليزية «Hello» نظر إليّ وعلامات الاستغراب والدهشة مرتسمة على وجهه.

ظننت أنه لم يعرفني، فقلت:

ألم تعرفني.. أتذكر يوم تعطلت سيارتك في الصحراء وأخذت أنت وزوجتك تلوّحان لنا فنقلناكما معنا إلى دمشق؟.

حدّق بي ملياً، ثم قال: نعم نعم تذكرت، كيف حالك.

قلت: أنا جيد..

وتركني ومضى..

وأخذت أفكر في اختلاف الطباع والعادات والأعراف بين الشعوب.

كان هذا اللقاء أول درس لي في رحلة الغربة..

ما أن وصلت إلى ليون حتى اتصلت ببدري طليع الذي يدرس الحقوق، فدعاني لتمضية سهرة معاً في الكازينو.

أمضينا ليلتنا نسمر ونمرح ونتحدث عن فرنسا ومدينة ليون والدراسة وأمور المستقبل والاختصاصات.. وكأننا جئنا إلى الكازينو لرسم خطوط المستقبل.

في اليوم التالي استأجرت غرفة عند امرأة فرنسية تدعى مدام توكسيمي واشتركت في مطعم بشارع فيكتور هيغو عند مدام بلار.

انتسبت إلى الليسية دو بارك وبدأت الدراسة وكأني كنت أسبق الزمن لأتمم تحصيلي.

كانت غرفتي تقع في الطابق العاشر، كنت كلما أردت الصعود إليها أحسّ بالعبء الثقيل رغم أني كنت قويّ الجسم نشيطاً، ولكنّ مائة واثنين وأربعين درجة صعوداً كل يوم وما تماثلها في الهبوط.. إن لم تؤثر على صحة الإنسان لشبابه وقوته ونشاطه، فإنها مملة ومزعجة.

الطقس في ليون غريب، فهو في الصيف شديد الحرارة وفي الشتاء بارد قارس.

لقد علمتني التجارب أن أتخلص من هذا الجو الرديء صيفاً وشتاء، كنت ما أن أنهى صفوفي حتى أمضي إلى مكتبة في المدينة فيها تدفئة مركزية بشكل دائم، وفيها عدد كبير من الكتب العربية أكثرها مخطوطات أندلسية..

وباختصار:

كنت أحس بعدم الراحة في ليون، وأن علي إعادة المحاولة للمضيّ إلى أميركا لإتمام دراستي. واضطت على دروسي وكأني سأبقى في فرنسا حتى أعود إلى بلدي، وأجهز النفس للذهاب إلى أميركا وكأنني راحل إليها صباح الغد.

في صيف عام ١٩٢٤ دخلت إلى سينما بالاس لأشاهد فيلماً. وكان أمامي رجل وامرأته، وبينما هما يهماان بالجلوس فتحت السيدة محفظتها لتتناول منها منديلاً تمسح به العرق عن وجهها فوقع المنديل على الأرض فالتقطته بسرعة وناولتها إياه، قالت باللغة الإنجليزية «Thank you» أي شكراً.

سألتها: هل أنت إنكليزية أو أميركية؟.

أجابت: أعرفك بزوجي، إنه قنصل الولايات المتحدة الأميركية في مدينة ليون.

ودار كلام بيني وبين القنصل، ودار في خلدي أثناء الحديث خواطر، وتواردت رغبات وأحلام أتمنى كل لحظة لو تتحقق.. السفر إلى أميركا وإكمال الدراسة هناك. تحدثنا عن البلد وجوه القاسي في الصيف وفي الشتاء.

وبعد اتفاقنا في الرأي، أحسست أن بإمكانني طلب تأشيرة دخول إلى أميركا من القنصل الذي جمعتني به الصدفة، فسألته ذلك فأجاب:

يمكنك الذهاب إلى القنصلية يوم الاثنين صباحاً..

وما أن جاء يوم الاثنين حتى مضيت مبكراً إلى القنصلية.

قابلت القنصل وحييته وطلبت منه تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة، فطلب تقريراً طبياً يثبت سلامتي من الأمراض، والأوراق الثبوتية اللازمة، وستكون التأشيرة جاهزة بعد ثلاثين يوماً.

مضيت إلى القنصلية الأميركية مصطحباً الأوراق المطلوبة بما فيها التقرير الطبي.

حييت القنصل وقدمت له الأوراق، فقال:

عد بعد ثلاثين يوماً وستكون تأشيرتك جاهزة.

ها قد بدأت الآمال الكبار تتحقق.

شهر كامل يفصلني عن الحصول على التأشيرة، وهي فرصة تسنح لي بسياحة أطلع فيها على بعض معالم فرنسا.

حزمت أمتعتي، ويمت شطر غرونوبل حيث قضيت شهراً كاملاً ليس لي عمل إلا الاطلاع على معالم البلد وجوارها.

بعد شهر عدت إلى ليون، وحصلت على التأشيرة من القنصلية الأميركية، وعندها شعرت أنه لا بد لي قبل ترك فرنسا من زيارة باريس، والاطلاع على معالمها وآثارها.. وفعلاً زرتها وتمتعت بأيام حلوة فيها، فقد زرت متحف اللوفر ودار الأوبرا وقصر فرساي والأنفليد، وكنت أقتنص الوقت الضيق لئلا يبقى في باريس معلّم أثريّ أو ثقافيّ إلا وأزوره وأتعرف إلى الحضارة الفرنسية في إحدى عواصم الدنيا العريقة.

أثناء وجودي في باريس وبعد أيام ابتعت تذكرة سفر إلى أميركا على متن الباخرة «واشنطن»، وحمولتها ستة وثلاثون ألف طن. وكانت هذه الباخرة قد أتت إلى بيروت يوم كنت في الجامعة الأميركية، وعلى متنها ثلاثمائة سائحة، ونظراً لضخامتها وقفت بعيداً عن المرفأ.

استقلت القطار إلى شاربورغ. وجدت باخرة على أهبة الإقلاع إلى الولايات المتحدة اسمها «لافيانثان» وعلمت آنئذ أنها أكبر باخرة في العالم، وهي ملك للولايات المتحدة الأميركية، حصلت عليها من ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى. وحمولتها ثلاثة وستون ألف طن.

فكرت في الأمر، وقلت لنفسني: إنها فرصة أتاحت لي هذه المرة، وقد لا تسنح مرة أخرى، فقررت السفر على متنها.

ب- مرحلة التحصيل العلمي في الولايات المتحدة الأمريكية

بعد خمسة أيام ونصف وصلت إلى جزيرة «أليس» التابعة لولاية نيويورك، حيث أجري لي فحص طبيّ دقيق، وسمح لي بالدخول إلى البلاد.

ذهبت إلى محطة القطار لأشتري بطاقة سفر إلى تكساس حيث الجامعة التي قبلت فيها.

طلبت من بائع البطاقات بطاقة للقطار فأجاب: ثمنها سبعة وستون دولاراً. ولما لم يكن لديّ من النقود إلا خمسة وسبعون دولاراً طلبت منه إعطائي بطاقة الدرجة الرابعة، فأجابني: لا يوجد. قلت ثالثة، ثانية.

وهنا قال: ألا تفهم.. إن هذه البلاد ديمقراطية.. كل الناس درجة واحدة.. إما أن تدفع سبعة وستين دولاراً، وإما أن تمضي إلى حيث شئت.. ابتعدت قليلاً، حيث أدركت أن المساواة في الخدمات أحد أسس الديمقراطية. مضى بنا القطار إلى شيكاغو، ومنها إلى كانسس.. حيث صعدت إلى القطار فتاة.. حيثها وقلت: هل أنت من كانسس؟ قالت: ماذا؟

لم تفهم السؤال، وذلك لأن لهجتي الإنكليزية لم تكن مألوفة في تلك البلاد.

سمع سؤالي رجل متوسط السن فأدرك الأمر، وقال للفتاة: إن الشاب يسأل إذا كنت من كانسس.

عندئذ أجابتنني: نعم أنا من كانسس وذهابة لزيارة أقاربي في سان لويس.

سألني الرجل: وأنت إلى أين تقصد.

أجبت: إلى AM & C في تكساس لأدرس الزراعة. وعندما سألته عن اسمه، أجاب أنه الشاعر روبرت فروست، وأنه ذاهب إلى سان لويس.

لم آبه لما قال، لأنني لم أكن قد سمعت باسم روبرت فروست، ولا عرفت مكانته في الشعر. وانتهى الكلام بيني وبينه عند هذه الكلمات القليلة العابرة.

وبعد مراجعاتي ومطالعاتي الكثيرة، عرفت مكانة هذا الشاعر في الأدب الأمريكي وعند عودتي إلى الوطن بعدة سنين نظمت هذه الايات بمناسبة مرور مئة سنة على ولادة هذا الشاعر حين كانت الولايات المتحدة تقيم الاحتفالات لهذه المناسبة:

Robert Frost

Frost, I freeze with the mention of your name,
Yet with the sunshine glittering from your ink;
I warm up and revert to my selfsame
To write of you in verse truly what I think.

Oft I roam in the farm you left behind
And on the old rocks you were sitting I stand,
Looking the universe you had in mind,
Where I see the world but a speck at the strand.

At eve came the tramps asking where to find,
The man who disagreed to give them a hand;
And I looked at them and said, there behind
That rugged wall, there's a mound of earth and sand

I gazed at the moon slanting far away
With the shuttling beams, warping threads of the gleam,
Weaving the years he lived a tongue, to say,
Here lies Robert Frost, the everlasting dream.

Frost the poet and the bard, I declare,
 That he built forever the greatest empire,
 The crown was offered to him and the chair,
 Which will never be destroyed by time or fire.
 Then the strangers left walking in the gleam,
 And the gleam was dimming behind and before;
 They faded away with their hopes and dream,
 And back to the mountain land, they came no more.

مضت ثلاثة أيام لبلياليها في رحلتنا هذه فوصلت إلى الجامعة AM & C نزلت من القطار في المحطة التي تقع داخل أراضي الجامعة لأستقل سيارة إلى جمعية الشبان المسيحيين YMCA وقابلت الرئيس المستر Mackey. وبعد حديث قصير قال: ثيابك متسخة جداً.. ألا تملك غيرها؟ فأخبرته أنني أضعت حقيقتي أثناء سفري وفيها كل ثيابي.

قال: إذا اصعد إلى غرفتك في الطابق الثاني واخلع ثيابك، وبعد ساعتين تعاد إليك نظيفة. وهكذا كان، وكانت هذه إحدى المفاجآت لي.

باكراً أسرع إلى السيد ماكي لأسأله عن مستر فرايلي، وأين يسكن؟ وبإيجابية أرشدني إلى بيته الذي لا يبعد عن الجامعة أكثر من ثلاثمائة متر، وأعطاني رقم هاتفه، قائلاً: يمكنك الاتصال به إذا أردت.

اتصلت بالسيد فرايلي قائلاً:

سيدي أنا جودت حيدر الذي كاتبك من لبنان طالباً قبولي في الجامعة، وقد أجبتموني بالإيجاب. وها أنا قد وصلت، فأرجو التكرم بتحديد موعد للقاءك.

أجاب: الساعة الثامنة ستجديني في مكتبي وسنعرض معاً كل الأمور التي تريد الاستفسار عنها.

لم يمض وقت طويل حتى أشارت عقارب الساعة إلى الثامنة فأسرعت إلى مكتب السيد فرايلي فاستقبلني استقبالاً حاراً وأحسست في كلماته الروح العلمية العالية المفتحة لكل طالب علم.

لقد حدثني كصديق قديم، وطرح علي الأسئلة، وأخيراً سألني: أتريد قبل الدخول إلى الجامعة أن تنال قسطاً من الراحة وترى معالم هذا البلد الجديد عليك، وتتعرف إلى أهله وأعرافهم وتقاليدهم، أم تريد الدخول إلى الجامعة فوراً؟

أجبت: بل أريد الدخول إلى الجامعة فوراً لأنني لا أملك مالا لرؤية معالم البلد الآن.

لقد جئت من فرنسا بما كان معي من نقود وهي قليلة مكنتني من الوصول إلى هنا، وسأكتب لأهلي ليتدبروا الأمر ويرسلوا لي حاجتي من المال.

وبلهجة المسؤول العلمي الرائعة قال: كم يلزمك؟ قلت: ثلاثمائة دولار.

أعطاني شيكاً بالمبلغ وقال: اذهب إلى «Fiscal Department» أي القسم المالي تحت مكتبي واصرف الشك.

صرفت الشك واشتريت بعض الثياب، ودفعت قسط الجامعة وكان ستة وعشرين دولاراً ونصف الدولار.

كانت AM&C جامعة حربية زراعية ميكانيكية. وكانت كل تلك الاختصاصات، مهمة بالنسبة إلي، وإن كنت أميل إلى الزراعة بشكل واضح نظراً لواقعنا في سهل البقاع، ولتفكيري المبكر والدائم منذ زمن بعيد أن أرض البقاع إذا أتيحت لها عقلية علمية متخصصة بالزراعة، وأيد عاملة نشيطة فإنها ستعطي الكثير الكثير.

كنت في الصف الأول Freshman واحداً من ألف ومئة تلميذ، وكنت جاداً في دراستي ومن الأوائل في صفي.



جودت حيدر في تكساس سنة ١٩٢٥

في أثناء السنة الدراسية وذلك في عام ١٩٢٥ أرسلتنا الجامعة إلى «دالاس» حيث أقيم معرض للزراعة والمنتجات الزراعية.. شاهدت المنتجات، واطلعت على الطرق التي بواسطتها كان ذلك الإنتاج الضخم والنوعية الجيدة، ورحت أقارن الفارق الكبير بين أساليبنا البدائية في الزراعة وبين الأساليب المستعملة في أميركا، وزاد ذلك في قناعتني باختصاصي الذي عملت جاهداً حتى توصلت إليه، وأنا أتصور أرضنا في البقاع بإنتاجها الرفيع كأنها جنة الله على الأرض.

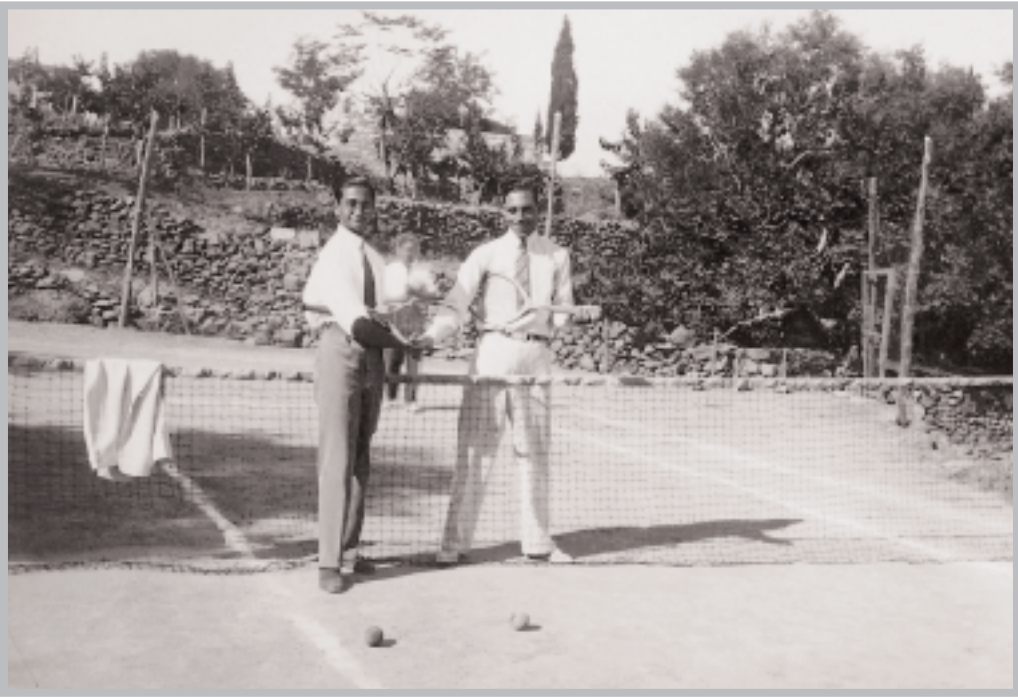
كتبت إلى أخي محمد رستم في العراق أذكر له إعجابي بالإنتاج الزراعي في أميركا، وكم آمل أن تكون أرضنا في البقاع على هذا النحو، وحددت له المبلغ الذي سأحتاج إليه عند رجوعي إلى لبنان، بعد تحصيلي الشهادة التي جئت من أجلها. حسنتُ له الفكرة، ونقلتها في رسالتي كما هي في رأسي. الزراعة الحديثة في بلدنا وأرضنا.. وجاء جواب أخي مختصراً مفيداً. ليس لدي مال وأعيش على ما أتقاضاه من راتب، وعليك أن تكمل علومك كما تشاء.

كم يرسم المرء من خطط، ويعمل لها بجِدّ ونشاط، وتبعثر جهوده أحياناً حين تصطدم بالعقبات المالية.

فكرت ملياً بعد أن تلقيت جواب أخي في اختصاص أستفيد منه وأفيد بلادي، واستقر رأيي على أن أدرس التربية والتعليم.

انتقلت من جامعة AM&C إلى جامعة North Texas State University في دنتون تكساس.

أحسست أنني وجدت نفسي في اختصاصي الجديد، وأحبته من كل قلبي. في هذه الأثناء بدأت بكتابة الشعر باللغة الإنكليزية.

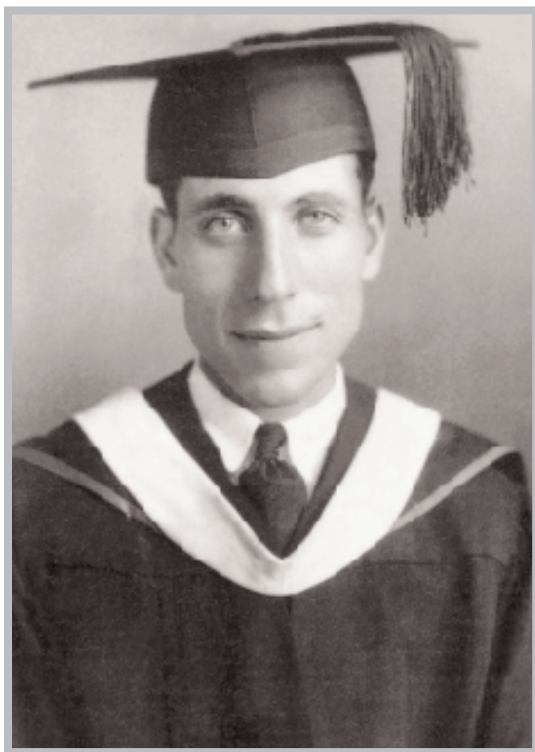


جودت حيدر يلعب كرة المضرب في جامعته سنة ١٩٢٦



جودت حيدر في
الولايات المتحدة
أمام إحدى
سيارات ذلك
الوقت

في سنة ١٩٢٧-١٩٢٨ أنهيت دراستي في الجامعة حائزاً على شهادة B.S. في التربية والتعليم مع شهادة دبلوم تخولني التعليم في جميع المدارس الثانوية في الولايات المتحدة الأميركية وخارجها.



صورة التخرج سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨

قررت الرجوع إلى الوطن، وكان لا بد لي من الذهاب إلى نيو أورلينز بولاية لويزيانا لمقابلة القنصل الفرنسي والحصول على تأشيرة الدخول إلى لبنان الذي كان آنذاك تحت الانتداب الفرنسي.

قابلت القنصل وطلبت منه التأشيرة، فأجاب: لا يمكنني إعطاؤك تأشيرة دخول إلى لبنان، فأنت لست لبنانياً. أنت تركي، وجرى جدل طويل بيني وبينه قلت له أثناء: أنا فلان وأبي فلان وأمي فلانة، وأنا من بعلبك. أنا لبناني من أب وأم لبنانيين، وبلدي لبنان، فأجاب: لا أستطيع تلبية طلبك. أنت تركي.. كنت خارج البلاد حين أبرمت معاهدة «لوزان» التي تنص على عدم الاعتراف بلبنانية اللبناني إذا كان خارج بلاده أثناءها.

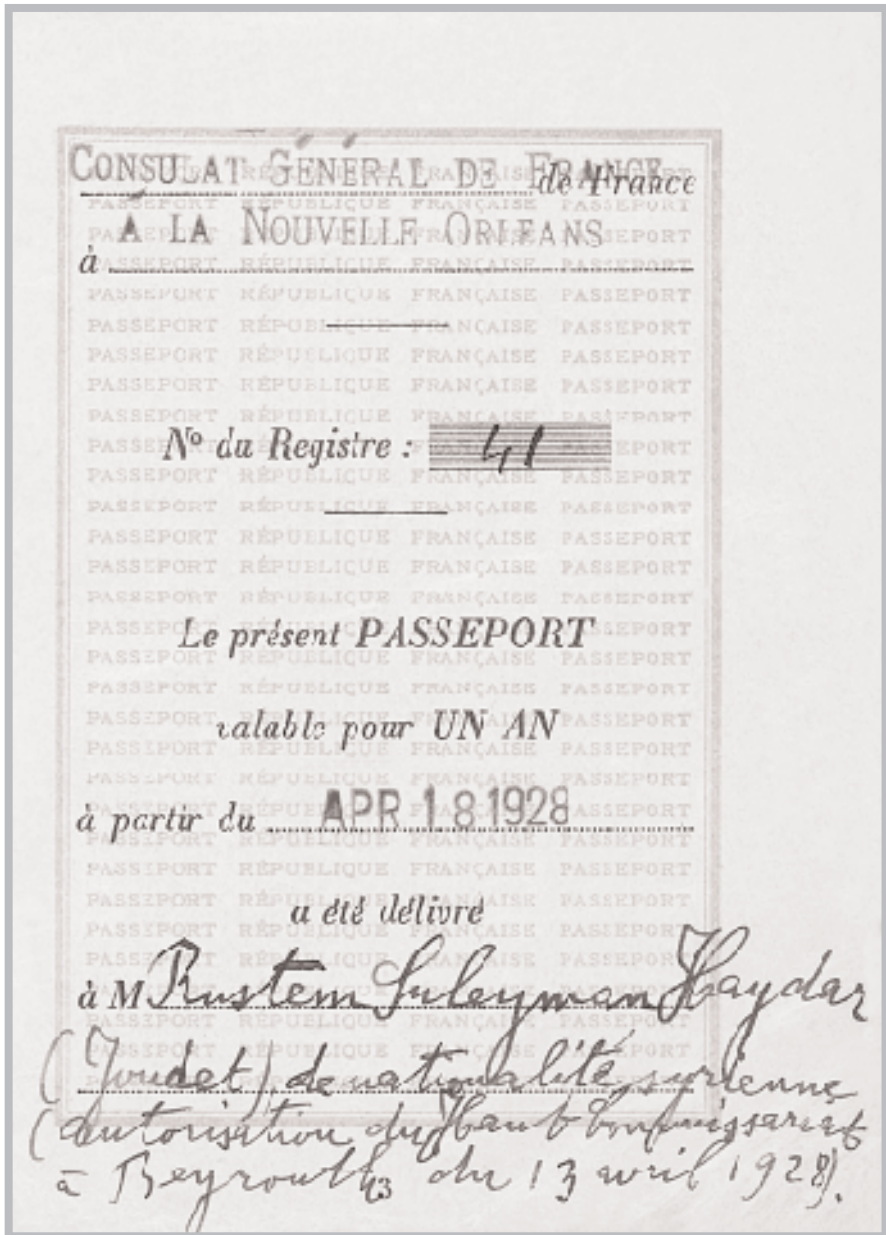
قلت: وهل كوني أدرس خارج بلدي حين إبرام معاهدة لوزان يجعلني تركياً ويفقدني جنسيتي اللبنانية؟ فأجاب: لا أدري وكل ما أستطيع قوله لا يمكنني منحك التأشيرة، هذا هو القانون.

تركته والغضب يكاد يفيض، وعدت إلى الجامعة وبقيت فيها حتى حزيران ١٩٢٨ مصمماً على العودة إلى الوطن مهما كانت الصعاب، فوجهت كتاباً إلى المندوب السامي الفرنسي في سوريا السيد Ponsot مؤلفاً من ١٢ صفحة هاجمت فيه الانتداب وطرقه في معاملة الشعوب، كما وجهت كتاباً إلى عائلتي في لبنان أطلب منها تثبيت جنسيتي اللبنانية.

واستطاع أقاربي في لبنان وأخص بالذكر إبراهيم بك حيدر وصبحي بك حيدر ويوسف مخير بك حيدر الحصول على ما طلبته منهم، وأرسلوا إليّ جواز سفر يسمح لي بالعودة إلى وطني.



مع إبراهيم بك حيدر «جبار البقاع»



جواز السفر الذي أرسل إليه سنة ١٩٢٨ وبواسطته تمكن من العودة إلى الوطن

Signalément	
Âge	22 ans
Taille	5 pieds 10 1/2
Cheveux	noirs
Front	ovale
Sourcils	noirs
Yeux	gris
Nos	lunettes
Rouche	noyane
Barbe	
Menton	pointu
Visage	allongé
Teint	brun
Signes particuliers:	

23



Consulat Général de France
Nouvelle Orléans, La.

Profession	
Étudiant	
né à Laalbyh, Liban,	
en avril 1905	
domicilié à Beyrouth, Liban,	
État Liban	
immatriculé ou inscrit, sous le n°	
à	
le	
qui, en compagnie de	
se rend en France et	
en Syrie.	

Signature du porteur

Fait à La Nouvelle Orléans
le dix huit avril
Mille neuf cent vingt huit



NOUVELLE ORLÉANS
APR 18 1928
Fait à

كانت الرغبة في العودة إلى الوطن تشدني فحجزت على متن الباخرة «SS.ROMA» وهي باخرة دوارة تمر على بلدان متعددة في طريقها. غادرت نيويورك، وكانت رحلة وأي رحلة.

ثلاثة وثلاثون يوماً على متن الباخرة.. مررنا بجزر الأزور أثناء عبورنا الأطلسي، وبجبل طارق، مراكش، الجزائر، الدردنيل، البحر الأسود، وقضينا ثلاثة أيام في كوستنجا رومانيا، وبعدها يمينا شطر بيروت.

كنت أحس وأنا في الطريق بسرور يغمري من رأسي حتى أخمص قدمي، وأفكار حلوة تداعبني وأشعر أن كل ذرة في الوطن أغلى من بقاع الأرض كلها.

صحيح أنني قلت لرئيس الجامعة إن وطني بحاجة إليّ.. ولكن نسيت أن أقول له: إنني بأمس الحاجة لتنسم رائحة بلادي، وأتنشق هواءها، لأرى أهلي.. أبناء وطني.. كل شيء في بلدي.. رماله.. أحجاره.. روايبه.. أشجاره، بعد غياب يقارب خمس سنوات..»

الفصل الثالث

في الوطن

في الوطن

أ- عمله في التعليم

يكمل جودت حيدر حديثه قائلاً:

في تموز سنة ١٩٢٨ وفور وصولي إلى لبنان طلبني معالي وزير التربية آنئذ، السيد جبران التويني، وحين قابلته قال لي:

إن السيد مشعلاني أعلى مفتش في الوزارة قد اختاره الله إلى جواره، وبما أنك تحمل شهادة الاختصاص في التربية والتعليم رأيت أن تستلم هذا المنصب راجياً أن تستفيد الوزارة من اختصاصك، ولا يراودني شك بأنك أهل لهذا العمل. الراتب الشهري مائة وسبع وعشرون ليرة لبنانية. أملي أن توافق، فوافقت، ووقع المرسوم وأرسله إلى رئيس الوزارة للموافقة.

توجهت إلى بعلبك، وما أن وصلت حتى وصلني تلغراف من الجامعة الوطنية في عاليه يرغبون إليّ في أن أكون مديراً لهذه المؤسسة بعد أن علموا بأنني أحمل شهادة B.S في التربية والتعليم.

بعد ثمانية أيام عدت إلى بيروت وقابلت وزير التربية السيد جبران تويني لأسأله عن مرسوم تعييني، فأشار عليّ بأن أقابل رئيس الوزراء آنذاك أوغست باشا أديب قائلاً: إنه سيوقعه ويعطيك إياه.

ذهبت إلى رئاسة الوزراء وطلبت مقابلة رئيس الوزراء، وبعد أن دخلت عليه وحييته سأله عن المرسوم فأجاب:

آسف أن أقول لك إن «مسيو ريكلو» مندوب المفوضية الفرنسية العليا لدى الحكومة اللبنانية جاء إليّ وطلب مني المرسوم فأعطيته إياه، وهو بحوزته، فامض إليه لعلك تتفاهم معه.

استأذنت ودخلت على السيد ريكلو، فقابلني بوجه بشوش ورحب بي وطلب لي فنجاناً من القهوة.. وبدأ حديثه معي:

أنت أفضل شخص لهذا المركز لأنك تحمل شهادة اختصاص من الولايات المتحدة، وهي تؤهلك لهذا المنصب، غير أنني آسف أن أقول لك بأن هذا المرسوم لن يرى النور.

وعندما سألته عن السبب أجاب بأن لديه معلومات بأنني ضد الانتداب الفرنسي!!

قلت: لقد درست في فرنسا في مدينة ليون، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأميركية، وكنت أثناء دراستي مثال الطالب الجادّ، لا ألفت إلا إلى استقاء العلم والمعرفة ولم أتعاط السياسة لا من قريب ولا من بعيد. وبعد أن أنهيت دراستي عدت إلى بلدي ولي في الوطن ثمانية أيام فقط.

قال: لدينا استخباراتنا الخاصة، وقد نقلت إلينا معلومات أكيدة. لا تحاول، فما أقوله لك قطعيّ.. لن يرى المرسوم النور.

خرجت من غرفته أفكر في نفسي وفجأة مرّ في ذهني شريط أيام مضت، فتذكرت الكتاب الذي أرسلته من الولايات المتحدة إلى المندوب السامي ببيروت، والذي كان انتقاداً للانتداب الفرنسي.

مضيت تَوّاً إلى جامعة عاليه الوطنية وقابلت رئيسها الأستاذ الياس شبل الخوري، وتعاقدت معه على أن أكون مديراً للجامعة وكان أول منصب أشغله في لبنان.

لم تمض أيام على عملي حتى وصلتني رسالة من رئيس جامعة North Texas State University في دنتون الدكتور ماركس، أسهب فيها، وذكر أنه قرأ لي شعراً

كتبته بالإنكليزية بعد عودتي إلى الوطن أحنّ فيه إلى تكساس، وأذكر الأيام التي قضيتها في تلك البلاد أستقي العلم والمعرفة، مكرراً لي دعوته بالعودة إلى أميركا، ومتمنياً لي السعادة.

كنت قد أرسلت الشعر Dear Old Texas إلى تكساس في الولايات المتحدة ونشر في جريدة دالاس نيوز ثم في جريدة الجامعة The Eagles.

Dear Old Texas

There's no land but dear old Texas for me
'Tis paradise 'tis the home of the free
That's why I long to cross the ocean bar
To dwell in my country to hail its star.

I am visiting the old world somehow.
Wandering in the East and in Europe now
But oh! how I miss Texas and the plow
The hat, the pistol, the horse and the cow.

The skies of Switzerland are clear and blue
The old German castles are pretty too,
France is charming and England not less
But there's no place like dear old Texas.

For ten by ten days I moved here and there
But now my soul roves in the Western air
Farewell, long farewell to Europe, my Jo,
Like spring I came and like winter I go.

Home again, home again to Dixieland
The ship will sail and merrily I'll land.
On the shore, and straight I go to the plow,
The hat, the pistol, the horse and the cow

I love thee old Texas, I love thy land
I love thy plains, rivers, rocks, hills and sand
I love thy flag, heaven, nature and sea
God keep you, God safe guard your liberty.

بقيت في جامعة عاليه سنتين دراسيتين بذلت فيهما جهدي كله في سبيل تحديث المدرسة والبرامج، حتى أضحت خلال هذه المدة البسيطة نسبياً من ألمع المدارس في لبنان وأفضلها، وأصبح طلاب جامعة عاليه يقبلون في الجامعة الأميركية دون أن يخضعوا للامتحان، ولا أنسى الأساتذة الذين تعاونوا معي إلى أقصى حدود التعاون وأخص منهم بالذكر الأديب الكبير أبا محمد مارون عبود الذي كان يدرس اللغة العربية.

في هذه الأثناء زارني في جامعة عاليه صديقي القديم عبدالله الحاج الذي ربطتني به الصداقة منذ أيام الجامعة الأميركية، وقويت أواصر هذه الصداقة عندما كان في البلاط الملكي العراقي يوم كان أخي وزيراً ورئيساً للديوان الملكي، والذي انتخب نائباً عن بيروت سنة ١٩٥٨. وبعد حديث أخويّ قال لي: إن سعدون باشا رئيس الوزارة العراقية يريد أن يراك، وينتظرك على جناح السرعة، فإذا كان بإمكانك الذهاب الآن أكون شاكراً ومسروراً بمرافقتك، وهو الآن في برمانا.

ذهبنا معاً، وقابلت رئيس الوزراء العراقي، وبعد فترة قصيرة قال: أنت متخصص في التربية والتعليم من أميركا؟
قلت: نعم.

قال: أودّ أن تقوم بتصميم هيكلية للمدارس الثانوية في العراق، فنحن بحاجة إلى تطوير هيكلية مدارسنا وبرامجنا لنواكب الحضارة، ولا يمكن لأية أمة أن تصل إلا عن طريق العلم والمعرفة.

قلت: اختصاصي يا باشا هو التعليم، والهيكلية اختصاص مختلف تماماً، أنتم تحتاجون إلى متخصص في تاريخ التربية والتعليم، وهو الذي يدرس أحوال البلاد

والدروس التي يجب أن يتلقاها الطلاب، والمناهج المقررة ويقدر النقص والتقصير، ومن ثم يحاول وضع مناهج جديدة يمكن للطلاب استيعابها، وبالتدرج تنتقل الأجيال الجديدة إلى مراحل متقدمة، وهكذا حتى تصل إلى الدرجة المساوية لدرجة أبناء الدول المتقدمة علمياً.

ولا أنكر كم أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت طويل ورجل قوي نشيط.

أما أنا فأسف، وكم كنت أتمنى لو كان الطلب من اختصاصي، إذن للبيت الطلب بكل امتنان وشكر.

عندئذ طلب مني تسمية أحد المختصين في هذا المجال، فأشرت إلى الدكتور كابرلي، وقد علمت لاحقاً أن الدكتور كابرلي لبي طلب الحكومة العراقية، وبقي في العراق ستة أشهر وصل فيها إلى جعل المدارس الثانوية العراقية نموذجاً رائعاً.

في إبان ازدهار الجامعة الوطنية في عاليه، ووصولها إلى الذروة علمياً وإدارياً وتجارب الأساتذة والطلاب زارني فضيلة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وطلب مني أن أكون مديراً لكلية النجاح في نابلس. وبعد محادثات طويلة اتفقت مع فضيلته، فذهبت إلى نابلس قبل بدء العام الدراسي، واستلمت عملي الجديد، ووضعت الخطط اللازمة لإنجاح الكلية وبعدها افتتحت المؤسسة أبوابها بهدوء ونظام.

وما مضت أيام على بدء الدراسة حتى جاء مدير البوليس، الإنكليزي الجنسية، طالباً من الحاجب إخباري أنه يريد مقابلتي أمام باب الكلية.

دخل الحاجب يرتجف وأخبرني بأمر مدير البوليس..

قلت: ليحضر ويقابلني هنا في الإدارة.

وبعد دقائق دخل السيد Fitzgerald إلى مكنتي غاضباً يحمل في يده كراباجاً. وما أن دخل حتى كلمته باللغة الإنكليزية واللهجة الأميركية: ما الذي أستطيع أن أقدمه لك؟



مديراً لكلية النجاح في نابلس-فلسطين

قال: أنت أميركي أو عربي؟

قلت: هذا لا يهم.. المهم ماذا تريد؟

قال: أريد أن أقفل المدرسة.

ولما سألته عن السبب أجاب:

إن الطلاب يخرجون من المدرسة إلى السوق فيدوسون الخضار ويخربون ويسبون إلى الباعة والناس، ويهتفون ضد الاستعمار.

قلت: لقد استلمت إدارة الجامعة يوم أمس، وأقول لك: إذا خرج الطلاب وداسوا الخضار وأسأوا إلى الناس، وعمت الفوضى، عندها يمكن مراجعة الدوائر المختصة للتحقيق في الأمر. أما إذا لم يحدث شيء مما تذكره، فإنه لا يمكن لأحد أن يقفل هذه المدرسة.

بعد خمسة عشر يوماً عاد مدير البوليس إلى المدرسة، واستأذن عليّ في غرفتي، على غير ما كان في المرة الماضية.. هذه المرة كان مهذباً، ولا يحمل كرباجاً. وبدأ الحديث قائلاً:

إنني عاتب عليك.

قلت: ولماذا؟

أجاب: كنت آمل زيارتك، غير أنني جئت أطلب منك زيارة الحاكم السيد Baily، وإذا شئت ذهبنا معاً.

قلت: لا مانع لديّ.. على أن يكون ذلك بعد خمسة عشر يوماً.

حضر مدير البوليس في الموعد المحدد، وذهبنا إلى السيد Baily وبعد تحية وكلام في أمور عامة قال لي السيد Baily:

نودّ تعيينك في الحكومة الفلسطينية، ونتمنى أن توافق.

وعرض عليّ وظيفة قائم مقام براتب أكبر من راتبي في الكلية غير أنني رفضت الطلب.

حاولت منذ استلامي الكلية مسابقة الزمن، والقضاء على الضعف والفتور الذي كان يسيطر عليها.

أحسّ المعلمون بأن من واجبهم التجاوب مع الإدارة الجديدة، فقام بعضهم مشكوراً بكل ما لديه من طاقات، وقصر بعضهم في أداء واجبهم.

لم يمحض على وجودي في الكلية إلا بضعة أشهر حتى علا اسمها في أرجاء فلسطين والبلاد العربية.

والأمر الذي كان يقضّ مضجعي هو تلكوء أولئك المعلمين الذين لم يستطيعوا السير معي، إما تهاوناً وكسلاً وضعف همة، وإما عن جهلٍ وضحالة علم. وهذا ما أوجب عليّ القيام بواجبي كاملاً.

صرفت معلمين ثبت لي عدم قدراتهم، وأبقيت المعلمين ذوي الاختصاص والنزاهة والنشاط، وتعاقدت مع أساتذة من خريجي الجامعة الأميركية ببيروت ومنهم الشاعر الكبير إبراهيم طوقان والأستاذ قنبر طوقان، والأستاذ نعيم الخوري وغيرهم، وبهذه الخطوة وبتعاون هؤلاء الأساتذة أضحت كلية النجاح نموذجية سواء من حيث النظام، أو من حيث التعليم الأكاديمي النموذجي، فازداد عدد الطلاب، وكثرت الأموال في صندوق الكلية، ولم تعد بحاجة إلى الهبة السنوية التي كان يقدمها فضيلة مفتي فلسطين من الأوقاف الإسلامية.

وقد اتخذت خطوات مهمة لمصلحة الطلاب منها:

تأسس مكتبة كبيرة للكلية تحتوي على الكتب والدوريات التي تدفع الطلاب إلى المطالعة. جهزت غرف الدراسة بأحدث ما يجب أن تكون عليه. ابتدأت أدرّب الطلاب تدريباً عسكرياً، وأزرع في نفوسهم حب الجندية والوطن. طوّرت الألعاب الرياضية ونظمتها، مؤمناً بأن العقل السليم في الجسم السليم.

في سنة ١٩٢٩ زار فلسطين الكابتن كانينغ Cuning الإنكليزي الجنسية، فطلبت مني دار الإفتاء أن أكتب كلمة ترحيب وتقدير بالضيف الكبير. والحق يقال: إنني في ذلك الوقت كنت شديد الحماس لأن أرحب بالكابتن كانينغ الذي قدّم الكثير لثورة من أكبر الثورات العربية ضد الاستعمار والاستبداد، وهي ثورة البطل عبد الكريم الخطابي* الذي انتصر مراراً على الإسبان وكاد ينتصر على الفرنسيين.

* ثورة البطل المغربي عبد الكريم الخطابي ثورة من أكبر ثورات العروبة والعرب ضد المستعمرين الذين أرادوا السيطرة على البلاد واستغلال خيراتها.. جمع عبد الكريم حوله رجالاً أشاوس بلغوا حوال (٣٠.٠٠٠) نائراً تغلي الثورة وحب الوطن في دم كل واحد منهم.. وبدأ يقاتل محتلي بلاده وهم الإسبان والفرنسيون. ونظراً لإيمان رجاله بحقهم وتقانيهم في دفاعهم عن بلادهم فإن ثورة الخطابي انتصرت في معارك كثيرة على الإسبان والفرنسيين، مما جعل فرنسا ترسل المارشال بيتان أحد القادة العسكريين الفرنسيين آنذ ومعه نصف مليون عسكري لقتال عبد الكريم والقضاء على ثورته . ورغم هذا العدد الضخم وتأهيله العالي والعدة العسكرية المتفوقة، فإن عبد الكريم بقي أكثر من عامين يقاتل ورجاله بعنف وشهامة وشرف حتى كاد يكسر فرنسا. لكن التفوق العسكري، كان واضحاً لصالح الفرنسيين. فاستطاع المارشال بيتان القبض على البطل المغربي وحكم عليه بالنفي إلى جزيرة سيشل حيث بقي في المنفى حتى لقي وجه ربه. رحم الله عبد الكريم الخطابي وأمثاله من الشهداء الأبرار، ووفق الله من يزال حياً يقاتل من أجل وطنه وأمته.

لقد كانت ثورة الخطابي في أوج اشتعالها وتأججها يوم كنت أدرس في جامعة ليون بفرنسا، وقد كتبت الصحف والمجلات عن تلك الثورة الكثير، فتأجج حماسي آنذاك، وقررت الذهاب إلى المغرب للانخراط في صفوف الثوار، ولكن صديقي بدري طليع حاول ثني عن عزمي، وأقنعني بأني سأكون في بلد لا أعرف عنه شيئاً، وما سأقدمه للثورة والعروبة قليل جداً، كما أقنعني بأن العلم والدراسة نضال، وأمتنا تحتاج إلى مثقفين كما تحتاج إلى ثوار.

ورغم أني اقتنعت بمتابعة الدراسة، واعتبرتها نضالاً شريفاً إلا أني كنت أحمل للثائر البطل عبدالكريم الخطابي والثوار الثلاثين ألفاً الذين كانوا معه الاحترام والتقدير.

والكابتن كانينغ كان من الذين وضعوا أنفسهم في خدمة تلك الثورة، وقدموا لها الكثير.. لم يكن يحارب على جبهة واحدة مع عبد الكريم، بل كان يقوم بأعمال كثيرة منها مدّ الخطوط الهاتفية العسكرية التي تحتاجها الثورة وسيلة للاتصال بين القائد والثوار من ناحية وبين الثوار أنفسهم من ناحية ثانية، ومنها تهريب السلاح وإيصاله إلى الثوار، وهو عمل جبار يستحق صاحبه الاحترام والتقدير.

كتبت مداخلتي ووشحته بأبيات من شعري باللغة الإنكليزية وكان الاجتماع في فندق من فنادق نابلس، وأمّ المكان حشد كبير من الناس من أصحاب الفكر والقلم، وعلى رأس المجتمعين الحاج نمر النابلسي وأمين التميمي وعزت دروزة وجمهور كبير من أهل نابلس، والمدن المجاورة من القدس وحيفا ويافا وطولكرم بينهم رئيس بلدية القدس.

ألقيت كلمتي بالإنكليزية وترجمها إلى العربية القس قبعين الذي كان يتقن اللغتين العربية والإنكليزية إتقاناً رائعاً. وما أزال أذكر بيتين من الشعر الذي أوردته في الكلمة:

Be Brave and never fear fate

For death comes always soon or late.

أي: كن شجاعاً لا تخشى القدر،
فإنما الموت سيأتي عاجلاً أو آجلاً

في عام ١٩٣٠ إضافة إلى كوني مديراً لكلية النجاح عينت عضواً في مجلس التعليم العالي الفلسطيني، وعُرض عليّ أن أكون معاوناً لمدير التربية والتعليم العام فأبيت متذرعاً بأسباب عديدة منها أني أريد العودة إلى لبنان.

في هذه الأثناء قرأت مقالةً للسيد Hussey في مجلة Near East and India يدعي فيه أن أصل فلسطين يهودي وأن لليهود، في شتى أقطار الأرض، حق العودة إلى فلسطين. قرأت المقال وكتبت جواباً أتسم بروح علمية في المجلة نفسها وباللغة الإنكليزية أدحض فيه ما جاء في مقال السيد Hussey وأوردت جريدة فلسطين المقالة باللغة العربية بعد ترجمتها تحت عنوان «سكان فلسطين».*

علمت يوماً أن جلالة الملك فيصل الأول ملك العراق سيزور عمان وبرفقته أخي محمد رستم حيدر. تركت نابلس وتوجهت لمقابلتهما.

عند وصولي إلى عمان أخبرت أن طائرة جلالته تعطلت في الأزرق، فأعلمت سمو الأمير عبدالله الذي أصبح أول ملك للمملكة الأردنية الهاشمية بعزمي على المضى للقاء جلالة الملك فيصل وأخي، فقال لي: ابق هنا لأن السفر إلى تلك المنطقة قد يعرضك لمخاطر أنت في غنى عنها.

بقيت في عمان، وفي المساء جلست مع كثيرين من رجالات الأردن في صالون الأمير عبدالله وإلى جانبي الأمير لطف الله المصري الجنسية صديق الأمير عبدالله وصديق أخي محمد رستم.

* يتمنى جودت حيدر على من لديه نسخة أو علم عن العدد الذي وردت فيه المقالة أن يخبره عنه وله الشكر.

وجه سمو الأمير عبدالله الحديث إليّ وسألني، عن كلية النجاح في نابلس وعن اختصاصاتي في الولايات المتحدة.

أجبت: في التربية والتعليم.

ثم أخذ يسألني السؤال تلو الآخر ويثني على صحة أجوبتي.

حتى سألني سؤالاً فلم يرق له جوابي، فقال: لا. خطأ.

هنا أخذني نزع الشباب فرفعت طربوشي عن رأسي، غير أن الأمير لطف الله همس في أذني قائلاً: أنت في حضرة سمو الأمير.. ضع طربوشك على رأسك..

وضعت طربوشي على رأسي، واعتذرت لسموه.

بعد ساعتين دخل الملك فيصل وبرفقته أخي إلى عمان.

تقدمت نحو جلالة الملك لتحيته، وما أن رأيته حتى قال: جودت؟!

قلت نعم يا سيدي.

قال: أود أن أراك لاحقاً:

ودار في خلدي سؤال:

كيف تذكرني؟ لست أدري. إنه لم يرني سوى مرتين: الأولى يوم ذهبت إلى بغداد لمشاورة أخي في شأن سفري للدراسة في بلاد الغرب، وشربت مع جلالته الشاي في حديقة البلاط الملكي سنة ١٩٢٤، والثانية يوم هنأني بنيل شهادة التربية والتعليم بعد عودتي من أمريكا..

ب- في شركة نفط العراق

يتحدث شاعرنا عن عمله في شركة نفط العراق فيقول:

«سنة ١٩٣١ قدّمت استقالتني من كلية النجاح في نابلس.

بعد رجوعي من نابلس ذهبت لزيارة أخي محمد رستم في بغداد. وهناك قابلت محامي شركة النفط العراقية IP.C. السيد شادر جي، ومدير الشركة السيد Dunkly مبدئياً رغبتني في العمل بالشركة.

وبعد عشرين يوماً وصلتنني برقية بأن الكولونيل لونغريك سيكون غداً في مركز الشركة في طرابلس، وعليّ مقابلته.

قابلت الكولونيل لونغريك في الوقت المحدد، وخرجت من عنده معاوناً لمدير التوظيف في لبنان.

استلمت عملي في طرابلس في نيسان سنة ١٩٣٢ مقدراً حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي فالشركة كبيرة والأعمال متعددة متنوعة.

وفي حزيران من العام نفسه جاء من حيفا إلى طرابلس رئيس دائرة التوظيف والأراضي في الشركة السيد لونغريك وأخبرني أنني نقلت إلى حمص في سورية.

كان مدير الشركة في حمص يدعى السيد والتر البريطاني الجنسية، وكان إدارياً قديراً، وذا ذكاء حادّ وثقافة عالية، وفهم للحياة ومعرفة بالناس، ولما استقرت في حمص كمدير للاستخدام والعلاقات الخارجية والأراضي ربطتني به الزمالة والصداقة والتعاون.

كانت سنة ١٩٣٢ سنة جفاف وقحط.. بخلت السماء بالعطاء، وقحطت الأرض وكان قرار الشركة مدّ خط الأنابيب من كركوك إلى طرابلس ومن كركوك إلى حيفا.. فأرسلت إلى حمص فريقاً من الأميركيين للقيام بهذه المهمة.

قمت بتوظيف عمال ومستخدمين في الشركة من المدن والقرى السورية والبنانية أربى عددهم على الألوف ما بين مهندس و موظف ومستخدم وعامل .

قمنا بمدّ الخط ١٢ إنش وساعدنا الطقس الجاف وقلة المطر على السرعة في إنجاز العمل، وكان طول خط الأنابيب بين كركوك و طرابلس ما يقارب ٧٠٠ كم.

بعدئذ قمنا ببناء ثلاث محطات في الصحراء هي T2، T3، T4 وتتسع كل محطة لما يقارب «(٤٠٠ شخص)» من أطباء وموظفين ومهندسين وعمال للمعدات الضخمة التي كانت تستخدم لضخ البترول من كركوك إلى طرابلس، حيث يعبأ في ناقلات النفط.

كانت المحطات التي تم إنشاؤها على الشكل الآتي:

T1 تم بناؤها من قبل الشركة في الأرض العراقية.

T2 كانت بين T1 و T3 مقابل بلدة أبو كمال على الفرات على الحدود السورية العراقية.

T3 بين T2 وتدمر.

T4 بين تدمر وحمص.

وجديرٌ بالذكر أنه بعد الحرب العالمية الأولى أنشأ الفرنسيون مصفاة تكرير للنفط في طرابلس، وكان ذلك قبل قيام شركة النفط العراقية بمدّ الأنابيب إلى طرابلس، وكان الفرنسيون يجلبون النفط الخام بيوأخر إلى ميناء طرابلس، وتقوم المصفاة بتخزينها وتكريرها.

وبان بدء العمل في إنشاء محطات T2، T3، T4 بدأت الشركة تستملك أراضي شاسعة في دير عمار والبدوي والمنية (محافظة طرابلس) كما استمكنت المصفاة التي أنشأها الفرنسيون، وبعد عدة سنوات قامت الشركة بتوسيع وتحديث هذه المصفاة.

إثر مد الأنابيب بدأ النفط يتدفق ويملاً البواخر العملاقة التي أنشئ لها حوض خاص في طرابلس/ لبنان لتحمل هذه المادة الثمينة وتنقلها إلى العالم.

بعد أن انتهت الأعمال في مدّ خط الأنابيب بين كركوك - طرابلس وكركوك - حيفا انتقل مدير الشركة في سوريا السيد والتر إلى كركوك، واستلمت الإدارة منه في حمص.

ارتأت يوماً مديرية الشركة في لندن إقامة حفلة لمناسبة تدفق البترول من العراق إلى طرابلس بحضور شخصيات عربية وأجنبية، وبحضور اللورد ستانهوب وكيل وزارة الخارجية الإنكليزية.

وبعد التشاور في الأمر كان القرار أن تكون الحفلة في T3 التي تقع على بعد خمسين كلم تقريباً شرقي مدينة تدمر كما ذكرت.

توافد المدعوون من حيفا ولندن، ووصل اللورد ستانهوب مع مدير الشركة العام المستر دانكلي، فاستقبلتهما في مطار محطة T3 وقدمني المستر دانكلي لوكيل وزارة الخارجية كمدير للشركة في سوريا.

وفي حمص كنتُ أشرف على أعمال الشركة، ومنها شركات التغذية (Catering Companies) لتموين المحطات الثلاث في الصحراء T2، T3، T4. كانت شركة فرعون وشيحا هي الشركة المتعهدة.

كان وكيل المتعهدين في حمص المرحوم الصديق جوزف شيحا قد ذهب إلى روما، وعندما عاد أحضر معه اثنتي عشرة لوحة للفنان الشهير بيكاسو عرضها عليّ وقال لي: لقد اشتريت هذه اللوحات بأسعار مغرية كل لوحة بأربعمائة وخمسين فرنكاً فرنسياً. وكان يومذاك كل عشرين فرنك فرنسي يساوي ليرة ذهبية فرنسية.

قال لي: بما أنك صديق أريد أن أعطيك اثنتين تختارهما بالسعر الذي اشتريتهما به.

قلت: يا صديقي! أنا لا أتعامل مع شخص ذي صلة بالشركة. لو فرضنا أنني وافقتك ودفعت لك ثمن اللوحتين وعلقتهما في بيتي.. أتعرف ما سيقول الناس عني في المستقبل؟

أولاً سيسألون عن مصدر هاتين اللوحتين. وعندما سيعرفون مصدرهما. أتعتقد أنهم سيصدقون أنني دفعت ثمنهما كاملاً؟

في حمص وفي خضم عملي الإداري الذي لم يكن يترك لي فرصة للراحة، عرفت بعض الأصدقاء، أنست بهم، وأحسست بالإخلاص في صداقتهم، ومن هؤلاء المرحوم هاشم الأتاسي الذي أصبح فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية. في أوائل سنة ١٩٣٦.

ربطتني به رابطة صداقة متينة، أحببته واحترمته، ووجدت فيه الرجل الوطني، والعربي الأصيل والمثقف الواعي، وصاحب الأخلاق العالية والسيره النظيفه المتألفة.

كانت تجمعني به زيارات تكاد تكون متواصلة يزورني في منزلي، وأزوره في منزله، ويملاً سمعي بأحاديثه الشيقة. في الوطنية والعروبة وما إلى ذلك من موضوعات. وكان كثيراً ما يقف في حديثه عند بعلبك فيطيل الحديث ويسهب.. يتحدث عن صداقاته في بعلبك يوم كان قائماً فيها وله أصدقاء يحبهم ويحترمهم ويحبونه ويحترمونه.

أصبح المرحوم هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية السورية، وفي عهده اشتدت مطالبة السوريين بالاستقلال وخروج الفرنسيين من البلاد وإنهاء الانتداب، لم يهدأ السوريون يوماً، لكنهم في هذه المرة كانوا أكثر عنفاً وإصراراً. أضربوا في كل بلدة ومدينة وبقي إضرابهم نيفاً وثلاثين يوماً. هزتني العروبة والوطنية المتمثلة بالإضراب الحق هزاً عنيفاً.

عملت جهدي في دعم الإضراب بالوسائل الممكنة ونشره بين العمال على كل الأراضي السورية حتى أضحي صوت العمال في شركة النفط صوتاً قوياً عالياً في النداء بالاستقلال والتخلص من الانتداب، ولكثرة عدد العمال في الشركة ولحماسهم الشديد ونقلهم عدوى الإضراب إلى أقاربهم وذويهم أثروا على جميع الأوساط في كل بلدة ومدينة على الأراضي السورية جميعها.

استفحل الإضراب واستشرى وانتشر، ولم يبق أمام الفرنسيين إلا الرضوخ لرغبات الشعب وأمانيه، فطلبوا من السوريين أن يؤلفوا وفداً يذهب إلى فرنسا للتوقيع على وثيقة الاستقلال.

ترأس السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية الوفد، ونظراً لصداقتي المتينة معه واتصالي الدائم به رأيت من واجبي أن أنبهه إلى أمور، وكنت أعرف مدى حبه لي وتقديره لآرائي.

زرتة قبل سفر الوفد الى باريس في ١٦ آذار ١٩٣٦، وبعد التحية قلت:

يا هاشم بك في باريس ستوافق الحكومة الفرنسية على الاستقلال التام لسوريا. أرجو أن تبقى في باريس حتى يوافق المجلس النيابي الفرنسي على ذلك، فبقاؤك هناك وسيلة ضغط قوية على المجلس، وإذا عدت إلى سوريا بعد توقيعك، فإني أخشى أن تكثر الدسائس وتفعل فعلها في أعضاء المجلس الفرنسي فيمتنع عن الموافقة ويكون الاتفاق حبراً على ورق لا قيمة له لأنه غير نافذ، إذا لم يوافق المجلس عليه ليس هناك اتفاق، ولا استقلال.

ذهب الوفد برئاسة رئيس الجمهورية إلى فرنسا ووقعت الحكومة الفرنسية الاتفاقية القاضية بمنح سوريا استقلالها.

وعاد الوفد بعد التوقيع فوراً، ورجع رئيس الجمهورية ليبشر الشعب السوري بالنصر العظيم والاستقلال الناجز.

كان القطار الذي أقلّه يعجّ بالناس فعلت النساء سطحه وحتى لم يعد يوجد موطىء قدم على هذا السطح. وما أن وصل القطار إلى حمص حتى كان الناس بعدد الحصى، وكأن أهل حمص والمدن القريبة والقرى قد جاؤوا عن بكرة أبيهم لاستقبال الرئيس.

علت الهتافات ولعلعت الزغاريد، ورأيت يوماً لم أر مثله. الفرحة على الوجوه، والناس يهنئ بعضهم بعضاً، النساء يزغردن والرجال يهتفون باستقلال سوريا وحياة الرئيس المنتصر.

في اليوم التالي ذهبت إلى بيت الرئيس هاشم الأتاسي لأهنئه، وبعد تحيته وتهنئته بالعودة وبتوقيع المعاهدة قلت:

أهنئك بالعودة والنصر الذي رجعت به من فرنسا، غير أنني كنت أتمنى لو بقيت في فرنسا حتى يصادق المجلس النيابي الفرنسي على هذه المعاهدة، ولا أنكر أنني ما أزال أخشى ما كنت أخشاه سابقاً.

أحيلت المعاهدة على المجلس النيابي الفرنسي، وللأسف الشديد كان الذي تخوفت منه، ووقعت البلاد فيما كنت أخشاه، وألغى المجلس النيابي الفرنسي المعاهدة ولم يوافق عليها.

ذهبت يوماً إلى دمشق لزيارة صديقي النائب في البرلمان السوري السيد نوري الحكيم الذي ربطتني به صداقة ابتدأت علاقة تجارية إذ كان يشتري مني كميات من عدس «مقنة»، ثم أضحت هذه العلاقة صداقة متينة.

دعاني يوماً إلى تناول الغداء مع لفيف من الإخوان منهم البكري، والآغا سويدان العلي. وبعد الغداء أشار عليّ أن أرافقه لزيارة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسيني. وفعلاً قمنا بالزيارة وقدمني السيد نوري الحكيم إلى فخامة الرئيس قائلاً:

جودت حيدر مدير شركة نفط العراق في حمص.

صافحني فخامته بهدوء من وراء طاولته.

وتابع صديقي نوري الحكيم قوله إنه شقيق رستم حيدر.

فما سمع الشيخ تاج الدين باسم أخي حتى أسرع إليّ مرتباً على كتفي، وأجلسني إلى جانبه، وراح يقول ويردد: رستم حيدر معلّم.. رستم حيدر رمز الوطنية.

انتهت الزيارة وخرجت مقدراً الرجل الكبير وأصبحت تربطني بفخامته صداقة متينة.

في الثلاثينات وأثناء وجودي في حمص بدأت شركة نفط العراق بالتنقيب عن البترول في سوريا. وكان أول تنقيب في منطقة الشريفة بين حمص وتدمر، وأسفر التنقيب عن عدم وجود أي أثر للبترول في تلك المنطقة.

في سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ بعدما قضيت بضعة أشهر في طرابلس، لبنان، نقلت إلى دير الزور في سوريا مديراً للأراضي والتوظيف والعلاقات والتموين.

كان المدير العام للشركة السيد Griffith إنكليزي التبعة وكان التنقيب ينفذ على أيدي مهندسين أميركيين على شاطئ الفرات من جهة الجزيرة في محلة الدرو، ولم يسفر عن وجود بترول.

ثم جرى التنقيب في محلة الجبسة على بعد ١٠٠ كم من دير الزور على نهر الخابور، فأسفر عن وجود الغاز بكميات كبيرة كما قال لي صدف المهندس راينهارت (أميركي) المسؤول الأول عن التنقيب، ولكن البئر أفلت وانتهى أمرها. في سنة ١٩٦٥ أبان الوحدة بين مصر وسوريا وصل فجأة إلى لبنان صاحب شركة Burden International من Tulsa, Oklahoma في الولايات المتحدة وطلب مقابلي. تواعدنا وتقابلنا في فندق السان جورج في بيروت... وكم كانت دهشتي كبيرة عندما سألني عن موقع الجبسة وعن كمية الغاز الموجودة هناك. كان جوابي أن الكمية كبيرة حسب مقولة المهندس راينهارت، أما الموقع فهو على مسافة ٥٠٠ كلم من الحدود اللبنانية. عندئذٍ تراجع السيد

Burden عن مشروعه لأنه مكلف ويمكن تأميمه عند انتهائه نظراً للحكم القائم آنذاك.

ثم انتقل التنقيب إلى منطقة الصبحة ما بين دير الزور وحلب فلم يسفر عن وجود لا البترول ولا الغاز.

سارت أعمال التنقيب في هذه الآونة بشكل رائع وبسرعة مثالية والعمل في ذروته والنشاط يسيطر على كل من يعمل في الشركة والنتائج الجيدة تبعث على النشاط والجدد؛ وتدفع بالإنسان خطوات إلى الأمام. جاء إلى دير الزور رئيس الحكومة السورية وهو السيد بهجت الخطيب، اللبناني الأصل.

دعوانه إلى الغداء في محطة الدرو، وكان المدعوون كثراً، وبطبيعة الحال كما يقضي التقليد المتبع دعونا مندوب المفوضية الفرنسية في دير الزور الكولونيل أردوان.

ذهب «المستر سوفستر» رئيس المالية في شركة النفط العراقية إلى المكان المعد للوليمة لترتيب الأمور ووضع البطاقات بأسماء المدعوين كل في مكانه.

فوضع بطاقة الكولونيل أردوان على رأس الطاولة وعلى يمينه رئيس الحكومة السورية.

كأن القدر كان دائماً يأبى إلا أن أختلف مع الانتداب الفرنسي، وأن أتهم من قبلهم.

مضيت لأطلع على ترتيب الطاولة فرأيت بطاقة حاكم البلد الفرنسي على رأس الطاولة، وعلى يمينه رئيس البلاد.

بدلت البطاقات بسرعة بحيث أصبح رئيس الحكومة السورية مترئساً الطاولة وعلى يمينه الكولونيل أردوان.

أتى «المستر سوفستر» وسألني عن سبب قيامي بالتبديل، فقلت له:

لا أحد يتقدم على رئيس الحكومة السورية في سوريا.

قال: ولكن هذا مندوب عن المندوب السامي أعلى من رئيس الحكومة.

قلت: قل ما شئت، وفكر كما ترى. لكن الترتيب سيبقى رهن إرادتي.

بقي الترتيب كما وضعته، وبعد الغداء ذهبت إلى بيت المحافظ السيد توفيق

شامية وأطلعته على ما جرى فأخبر رئيس الحكومة فيما بعد بما كان.

كان الانتداب الفرنسي لا يترك شاردة أو واردة إلا ويتدخل فيها ويخطط

لتكون تحت سيطرته.

كان الكولونيل أردوان مندوب المفوضية الفرنسية في دير الزور يتدخل في

أمر القبائل والعشائر هناك.

ومن أفعاله انه حرض عبد العزيز المصلاط على أخيه الأكبر جميل الذي كان

رئيس عشائر الجبور في الصحراء، والمعروف بوطنيته وحب لبلده، ووعدته باستلام

الزعامة مكان أخيه الأكبر.

فكرت ملياً بالأمر... لماذا يحاول الكولونيل قلب الموازين في هذه العشيرة

بتسليم الولد الأصغر مقاليد عشيرة كبيرة، والأخ الأكبر حي يرزق، وقادر على

تدبير أمور العشيرة بحنكته وتجاربه.

رأيت من واجبي أن أضع الأمور في نصابها، وأعمل على إبقاء الشيخ

جميل رئيساً للعشيرة، وزاد في اندفاعي معرفتي بوطنيته الصادقة وعروبته

الأصيلة.

ذهبت إلى بيت الشيخ جميل، وتحدثت معه طويلاً، فوجدته كما أخبرت عنه

رجلاً سديد الرأي، عارفاً بأمور العشيرة ومتطلباتها، غير أن الفقر والحاجة

ظاهران عليه.

قلت له: أريد أن أراك في دير الزور غداً أو بعد غد.

فعلاً جاءني في اليوم التالي، وبعد أحاديث كثيرة، قلت له: كم يلزمك من المال لتستطيع المحافظة على مشيختك، وتنافس أخاك عبدالعزيز؟

بداعٍ من الوطنية يجب عليّ أن أساعدك وأقف إلى جانبك.

قال: أحتاج ثمن القهوة، وبعض حاجات صغيرة.. يكفيني في الشهر ما بين المئتين والثلاثمائة ليرة فقط.

وعدته خيراً، وودعني والبهجة واضحة على قسماات وجهه.

في اليوم التالي أمنت له مائتي ليرة شهرياً من جيبي الخاص.

بعد مدة من الزمن زرت الشيخ جميل في منزله؛ فرأيت الناس حوله، ومعالم العز واضحة عليه والقهوة جاهزة...

عاد الشيخ جميل شيخ القبيلة دون منازع.

مضت فترة من الزمن، وكنت في جبسة، وإذا بالشيخ جميل يأتيني بحصان كميت اللون رائع الصورة والهيئة. امتطى صهوته فارساً وانطلق به ما يقرب من المائة متر ثم عاد. ليقول لي الشيخ:

هذا الحصان الأصيل لك يا بك.

قلت: يا شيخ جميل حصاني هو سيارتي. وهذا الجواد الجميل أنت بحاجة إليه. المهم عندي أن يبقى بيتك مفتوحاً، وتبقى شيخ القبيلة.

ودّعني الشيخ، وقدّرت فيه الإخلاص والاعتراف بالجميل.

تابع جودت حيدر حديثه قائلاً:

«لا تسأل عن المعاناة التي كنت أعانيها في دير الزور، فالمناخ الحار الجاف

كان يقبض النفس بعنف شديد، إذ كانت الحرارة تصل إلى ٤٤ درجة ولا سبيل

إلى التبريد إلا بواسطة المراوح المعلقة في السقوف.

واصلت العمل في شركة نفط العراق حتى سنة ١٩٤٠ أي حتى أستشهاد أخي محمد رستم حيدر في العراق.

في سنة ١٩٤٧ عدت إلى العمل في شركة نفط العراق في مصفاة طرابلس لبنان بعد انقطاع سبع سنوات وأعمال التنقيب كانت ما تزال جارية في جبل تربل في دير عمار محافظة طرابلس. وأسفر عن وجود آثار للبترول تبخر مع مرور الزمن لتشقق الصخور.



الثالث من اليمين على درج نادي شركة نفط العراق في طرابلس، لبنان

وبعد عودتي أيضاً تم تحديث المصفاة، وعلى أثرها وفي سنة ١٩٥١ منحت الدولة اللبنانية وساماً لرئيس الشركة Mr. Herridge كما منحتني وسام الاستحقاق اللبناني المذهب في عهد فخامة رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ودولة رئيس الوزراء رياض الصلح بتاريخ ١٣ شباط سنة ١٩٥١، وهو أول وسام يقدم إلي.



جودت حيدر مع دولة رئيس الوزراء المرحوم رياض الصلح بعد تحديث المصفاة سنة ١٩٥١

كان للشركة في لبنان نقابة للعمال ، يرأسها جورج أبو شاهين من الكورة وكان موظفاً لدى الحكومة الإنكليزية بالسودان قبل عودته إلى وطنه ليعين في شركة نفط العراق في طرابلس.

كانت علاقتي بالنقابة علاقة طيبة يسودها التفاهم والمنطق.. نجتمع كثيراً ونتداول في أمور العمال ورواتبهم وعلاقتهم بالشركة، نتفق على بعض النقاط ونختلف على بعضها الآخر، فنحاول بكل ما أوتينا من قوة على حل كل نزاع.

وضعت نصب عيني في تلك الأيام أن أكون إلى جانب العامل وأعمل ما في وسعي لأوصله إلى حقه، وكانت الشركة دائماً تستحسن ما أقوم به من خطوات في هذا المجال لأن الإدارة كانت توافقني الرأي بأن العامل إذا كان مكتفياً مادياً يعمل بنشاط ويتحمل في بعض الأحيان فوق طاقته إذا طلب منه ذلك، فتصبح مصلحة الشركة مصلحته، ويتعد عن الطرق الملتوية التي تؤمن له بعض المال بالطرق غير المشروعة.

نالت النتائج التي حصلت عليها باتفاقنا مع النقابة رضا العمال عن تصرفات الشركة نحوهم، ورضا الشركة عن تجاوز العمال مع إدارة الشركة وقيامهم بكامل واجباتهم.

والذي كان ملاحظاً بوضوح عدم الاختلاف بين الشركة والنقابة، كلٌّ يقوم بما عليه بإخلاص.

في تلك المرحلة طلبت الإدارة مني تعديل سلم الرواتب بما يناسب العمل والعمال مبنياً على مكان ونوعية العمل.

فقمت مع بعض الموظفين المساعدين لي بزيارة جميع فروع الشركة في سوريا ولبنان والأردن والعراق، ودرست الوضع على الأرض، ودونت المعلومات المتعلقة بالعمال ووظائفهم وأوضاعهم الصحية والمالية.

وبعد رحلة دراسية طويلة استطعت تعديل سلسلة الرواتب بناء على أسس علمية لمصلحة الشركة والعمال.

بعد ما يقارب الشهرين وضعت تقريراً مفصلاً عن التعديل وأسبابه قدمته للإدارة مرفقاً بجداول كاملة وإحصاءات دقيقة.

كان العمال في الشركة في شتى الأقطار مثال العمال النشيطين الذين يضحون بأوقاتهم وجهودهم في سبيل شركة ترى من واجبها أن يكون عمالها بأحسن وضع اقتصادي. لذا كان سلم الرتب والرواتب يتجدد دائماً، وينظر في هذا التجديد إلى مصلحة العامل ليعيش عيشاً كريماً.

حقاً إن الشركة خلال الخمس والعشرين سنة التي قضيتها فيها كانت مثال الشركات العالمية الناجحة، التي تعرف إدارتها العليا مسؤولياتها وتؤديها كاملة مما يجعل كل من ربطته بها علاقة راضياً محباً مقدراً.

تقلبت في مناصب عدة في شركة النفط العراقية ابتداءً من معاون مدير التوظيف في طرابلس ١٩٣٢ إلى مدير العمل والعلاقات الخارجية والأراضي في سوريا عند استقالي سنة ١٩٤٠.

وبعد عودتي وحتى استقالي سنة ١٩٦٠ مجدداً كنت أشغل منصب المستشار الصناعي لشركة نفط العراق (IPC) في لبنان وسوريا والعراق والأردن وقطر.

كتبت مجلة «Crescent» الصادرة في لندن في عدد نيسان ١٩٦٠ ما يلي:

“Mr. Haydar is another of the selected band who joined the company at the beginning of the first pipe line constructions. He was engaged on April 11, 1932 and took over the staff appointment of Assistant Employment Officer in Syria in September of the same year and was, incidentally, the first National Staff employee in the company.

Towards the end of pipeline construction he became i/c Homs Depot, a post he occupied for two years, then, after a short spell as Inspector, Commissariat Department, he became Employment Officer in Tripoli and later in Deir-ez-Zor. In 1941 family affairs occasioned his resignation but he rejoined the company in 1947 as Assistant Employment and Security Officer, Tripoli Refinery. Thenceforward all his service was in Tripoli where he became Personnel Officer, then Employment Superintendent and finally, in 1956 he became the Industrial Relations Advisor, the post he occupied until his retirement in February of this year. He was the first of the staff to hold such an appointment.

With the retirement of Jawdat Beck the company loses a distinguished personality educated at the American University of Beirut and the University of Texas, he is both a scholar and a poet. In November, 1950, he was awarded the Gold Medal of Lebanese Merit.

الفصل الرابع

عائلته

عائلته

أ- زواج الشاعر وأولاده

تحدث جودت حيدر عن زواجه وأولاده بحنان فقال:

عام ١٩٢٨ عدت من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أنهيت دراستي في جامعتي North Texas State University و AM&C College Station في دنتون تكساس متخصصاً بالتربية والتعليم.

ما أن وصلت إلى بيروت حتى تلقيت نبأ وفاة رجل من كبار رجالات آل حيدر، وهو المرحوم سعيد باشا ابن سليمان حيدر، وأخبرت أن سبب الوفاة حادث سيارة، وأنه قد انتقل إلى رحمة الله عن عمر يناهز الرابعة والتسعين.



مليحة

مضيت مسرعاً إلى بعلبك لأشارك في المأتم الكبير، وكان لي لقاء بأخي محمد رستم الذي جاء من العراق ليشارك في المأتم.

شاركت بمأتم رجل كنت أجله وأوقره وأحترمه، وعشت أحزان العائلة بوفاته.. والتقيت الكثيرين والكثيرات من أقاربي الذين يظهر على وجوههم الحزن والأسى. ولفتت نظري في تلك الأيام القليلة التي يغمرها التفكير بالموت والحياة، وتغشي الوجوه مسحة من الحزن الصامت العميق فتاة من أقاربي زادها الحزن جمالاً، وعرفت أنها مليحة بنت مخير بك حيدر ابن الفقيد سعيد باشا فبدأت ترتسم في خيالي صور.

أحسست أنني وقعت في شباك عيين تملان الذكاء والبراءة والطهارة، واقتربت من تحقيق أمل كان يراودني دائماً كما يراود كل شاب وهو أن يكون لي زوجة وبيت وأولاد. ولم أفكر بمليحة؟ ولم لا أعمل على تقوية أواصر هذا الإعجاب؟ بل لماذا لا أصارحها بما في الفؤاد من شعور حلو نحوها؟

فعلاً بدأت الأمور تأخذ منحى جدياً سريعاً، فما بدأت بالتلميح بفكرة الزواج حتى لقيت من مليحتي جواباً نقلته إلى قلبي عيناها لتختصر الطريق.. ومضت أيام هنيئة مليئة بالأمال الحلوة العذبة.. وانتقلت الأمور لترسم أمامنا صورة الأولاد ديملاًون بيتنا حبوراً.. يا لها من أيام جميلة على قصرها، وما أكثر عطاءها، وما أروع ثمارها!

كانت حصيلة تلك الأيام القليلة ارتباط قلبي، وتوافق روحي، بآمال مفعمة تكبر وتعذب وتحلو. ولم يبق إلا أن أهيب النفس والجوّ للانتقال إلى بيت الحب الحقيقي.. بيت الزوجية التي يخيم على أجوائها الحب والحنان والفكر والعاطفة.

عينت مديراً لكلية النجاح في نابلس. وما فارقت بيروت حتى سكنت صورة مليحة القلب والروح والعقل.

مضت السنة الدراسية في نابلس. وكنت أعيش أوقاتي الخاصة مع الحبيبة الغالية مليحة التي في كل ليلة ونهار كنت أرسم ألف صورة للوصول إلى الزواج منها والعيش بقربها.

في عام ١٩٣١، بعد انتهاء العام الدراسي استقلت من الكلية في نابلس، وعدت إلى لبنان، لانتقل إلى عملي الجديد في شركة النفط العراقية.

عندها وفي عام ١٩٣٢ تحقق الحلم فتزوجت مليحتي الزوجة الوفية، والصديقة المخلصة، ورفيقة درب والنضال في الحياة، وأم الأولاد الذين أرى في كل منهم نفسي.



مع زوجته مليحة في الأرز «أقصى اليمين» وشقيقه محمد رستم «أقصى اليسار»

في سنة ١٩٣٣ وكنت آنذاك مديراً للاستخدام والعلاقات الخارجية في شركة النفط العراقية، في حمص ولد بكرنا بسام، وما مضت سنوات حتى امتلأ بيتنا بزغردات الأطفال، وحلاوة ابتسامتهم فكان لنا مع بسام ست بنات هن:

سلوى: تزوجت من دريد ابن مصطفى بك حيدر

سهام: تزوجت من عزت ابن يوسف بك الزين



بسام محاطاً بأخواته في حفل خطوبة شقيقته ريم

منتهى: تزوجت من خليل ابن ابراهيم بك حيدر
شاهينة: تزوجت من أسعد ابن راشد بك عسيران
ريما: تزوجت من ماهر ابن فريد بك أرشيد

وحنان الحائزة على شهادة ماجستير في العلاقات الدولية من جامعة ال LAU
في بيروت وهي في صدد إعداد رسالة الدكتوراه في نفس الاختصاص.
عشنا بوئم عائلي، وكان كل من يعرفنا يغبطنا على هذا الحب الذي يخيم على
بيتنا..

في هذا الجو المفعم بالعاطفة ترعرع بسام وأخواته حتى كبروا وتعلموا وشقوا
كل طريقه باستقامة ونجاح.

حلت سنة ١٩٨٢ لتضيف إلى حياتي حادثاً جليلاً ومؤثراً وجرحاً نازفاً لا
يندمل، فقد اختار الله إلى جواره زوجتي ورفيقة دربي.

IN MEMORY OF MY WIFE MALIHA

*How oft I watched the sunrise beyond you
And you I haven't seen but the heading foam
where the ship with my heart is sailing on
in harbour or sunset arcing from home*

*and how oft I came to think but never thought
the thoughts I am thinking now of my loss
deserved with the strings of hope I caught
like a penitent at a weeping cross.*

*this blank janes, faced world should I believe
or steep in lethe to whom had I forget
that there was such a joke having in store
but empty hopes and the dreams we regret*

*Dreadful to bear the thought of a long sleep
to hush the divine voices of love in pain
the bliss of down to bottom to keep
with a coal burning fire ablaze in the brain*

*I am persisting the years of grief ahead
and I'll dwell on the rest of my life
How can I forget the woman she said
"shed no tears, that's the true meaning of life."*

*I shall live hence and let my voice be heard,
charged with my forlorn melody to span
All over the earth with my cadences wred,
to move the dead heart of every living man*

JAWDAT S. HAYDAR

توفيت المرأة المثالية، والمعاونة القوية على صعوبات الحياة ونوائب الدهر. كانت تقية ورعة صبورة ناضجة التفكير، تمتاز بالصمت في الوقت الذي ينبغي فيه الصمت، ومتكلمة تنطق بالكلمة الفصل حيث ينبغي الكلام، ومن أهم ميزاتها دأبها في تربية أبنائها وتعليمهم على أسس سليمة، وجدّها في زرع المثل العليا في نفوسهم. تركت الحياة ولكن روحها ما تزال مرفرفة فوق سماء بيتنا، رحمها الله.»

وأيضاً يقول في رثائها:

تنبعث الحياة مع الزمان نموا
وعمرات الطبيعة تشب وتشيب
لتتوارى بعداً
تردادها مع الريح في غياهب الكون،
خزين عمر يرجع الميت حياً
وأنت، أنت العطرة التي نمت، وفي
ربيعها هوت، وفي عطرها انطوت،
وتجسدت رمز قداسة، وبعد البعاد أصبحت
الخطب.
وكلما رفّ الهوى أدركت معنى الأسى
وكان عيشنا كالشمس طرواة عند
الغروب، وبعد الغروب صفاء
تلك ليالي النجوم والسهرة
وعندليب الغاب ينشد الحان الطيب
حتى يغيب القمر، ويطل من المغيب.
هذه الذكريات، كم أتوق إليها
في عزلتي، أحلم بحب كان كالفرات أمواجاً تتصاعد.
هنا طال صبري، وتناولت الصبر، وأنا صابر
في غابة الصبر ومن أتاني يراني كالزمان صابر
على صبري.

وأنت يا حبيبتى لا تحزنى .
 هذا قضاء وقدر .
 والحياة ارتفاع جبالٍ وحنو واد .
 هذا الكون متناقضات نفى وإيجاب
 ولو لم يكن هكذا لما كان .
 ما هو إلا هذا العمق لا يحده مدلول ،
 إلا أكفان العبر في دنيا السكون .
 والآن كالنحلة انطلاقةً
 أمضى إلى الجبال والقمم .
 وبالإزميل أحفر على صخور البقاء
 حكاية حبي وما كانت إلا حباً عقلانياً
 ضميره الوفاء .
 لا حب قيس وليلى مزيجٌ من الجنون والبكاء .
 هذا، وجاء ملاك الرعب، ورحلت مع الأيام
 في خريف عمري كروض حور
 ضعيف البنية يجف رويداً رويداً على
 طريق الهلاك صابر مختار قبالة تعاظم الريح
 تهب عاصفة لتجعل من باقي أيامي ركامها .
 حبيبتى لا تحزنى لأن التلاقي بعد
 المنية، والخلد سرمدي معنى لا وجود
 والطبيعة، أبداً، مصدر الخلق، والتفكك
 والرجوع، ولو لم تكن هكذا لما كانت لتكون
 كما هي معنى ووجود .
 وأنت وأنا، ذكرى حياة
 رجعت لباطن الأرض جسداً
 ولباطن السماء روحاً
 أت من عند ربها زمنا وذهبت .

ب- رسائله الى زوجته أثناء الخطوبة وبخط يده:



التيارات المضادة للتيار

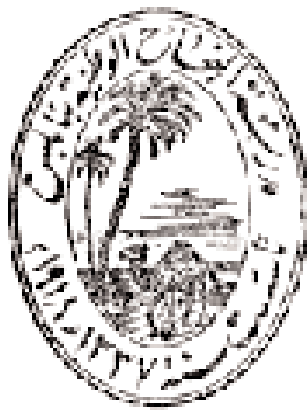
تاریخ: ۱۴۰۲/۰۵/۰۵

1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 26

مفتي الجمهورية (١٩)

المجلس الوطني

[illegible]



الجمهورية الإسلامية الإيرانية

تبرية القلغون : (١٢)

سندوق القربة (٧)

البحر في

بعد ما فاضت لك ساحة الصبح في بيروت وما انت ساحة القامة
جوت بنا العيا به وما عقلت حقد و ضمت بنا صديق الشرحا تا
المشهور و بمقول الزينون البحر فتمتنت ذنوبك اليه بسط
و ما ينوثة سطر ، حسن و جود ، فاذن خير را به ستات به امان
حرو راقي ، و اعد هذا البديع به عذوبه تتراى في به حيا
المطرب من مختلف الاثر و تصدع عتق باعطه اربيل ، ناعيكات
به سماي قصير الطير التي تصدع به حوت هذا اذ به و به صديقه
المحرمين فتمت نكرت هذا مني نكته البعد القربة التي حوت
عليك شكر المسام و منه تقترع باليه البعد به عن سكا طين البحر
و طيرين .

اشكر بك سيرة و ثوبه نكته لك عانا و اربيل التي تمينا بها
سيرة و انا ثوبه حيل الفان ، فو قد و ين يا عيقت على البعد
في بكت هذه البعد و انا ثوبه فاضل في قلبي في صديقه و تقطير
في قلبك كما ين في المأني المرحل كذا في المرحل البعد به المهدأ
المنسوب ، ليس في به عذوبه اصبح به نكته شانه و انا
الشعر القري و اربيل العليم

البحر في سيرة و ثوبه نكته لك عانا و اربيل التي تمينا بها
سيرة و انا ثوبه حيل الفان ، فو قد و ين يا عيقت على البعد
في بكت هذه البعد و انا ثوبه فاضل في قلبي في صديقه و تقطير
في قلبك كما ين في المأني المرحل كذا في المرحل البعد به المهدأ
المنسوب ، ليس في به عذوبه اصبح به نكته شانه و انا

نہایت حیات و صلوات

[illegible]

الحب يصنع من سموم الدمار شراباً، ويفعل الحق ما يبطله الباطل، ولا يشفى منه
وإليه تلتك الدمنة العذبة، والذرية وحر الحياة بعد القهاجون الغشقيين الخائضين.
أذن الحب هو السر السرم، والبيتس الزهرى، والكلمة بحسرة تلتك الدمنة الخائضين
أتم كانت تملوها نظرة الحب والعزم يوم كنت تشعرون وتغيبه وتطاميه، يمانى به البصر



المجلد ١٠٠
العدد ١٠٠

الكتاب عنوان المطبع

رقم التلويح : (٤٢)

مطوق اليد (٢)

المس في ...

عزير في ملحه

تركت الكس حذر لها ومن قمت منذ من الطلوع حذر وجهه
الطبيعه الجمل و دخلت اسفل الى غدتى كما يتغشش من وقت
الرماد اصبغه ترأيت من النافذه تحاشيه خطه با سفيه
نفا نفيه والزهو رده حولها ترأيه في الهوى ضا حله حائل
تد في حبيبته قد حشيا بغيرها بعد مرور العوام طرأ الى عند
ذات المظفر تد كرت تلك التواني يوم كنت اقولت معا ثقا نعه
وام ذات السيف الهام ذات المطر والسكر في ارجع باب
الطلي في النور جيل اللباني جيل الحب وامر حبيبك . كنت
اورى بوالد كين اجورا قلبى فسيل حيا ورجعك عند ما
آكول و صيدا في غدتى بعبث غفلك . وكنت اظلم با صدوق
بان كل مائتا سبه اذن من قران وبعد سكرتون تذكرك
لذيذا لكك الدماحه التي سفتيعل سويه فيما بعد . فوف
صياه "السب" ففنى كرهها فربسا وتلك لود الكره ظم
طايه "جذل" . ان في قلبى بلى حبيب من الحب فهاج كملها اوت
العوام عليه ازاد غزاره وعفوه لى فاحب الصداقه
الكلية عند تيمه لا يفنى من انديام بل يفنى الزمن
وتلك حتى الشمس تنور في الزمان فان نثار الحب
اكن حزاره من الشمس وتا به لودت ورحمى لودها .



الكتاب عنوان الصحاح

الكتاب في

فردا القلمون ١ [٤٩]

منازل البريد (٧)

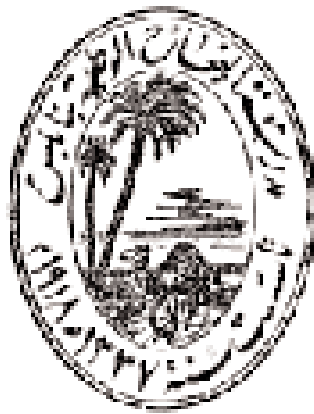
الشيخ بطني، مثل وجوه بيت بجهلي اوكيد من ثم استيقظ
 ووجد نفسه في وادي الامموم وصيدا حديقاً ووسه اسرار
 معاً وروحه انكسر له امرى وانه علمه، فتعبره الدخان
 والدمى سدسى الى حبيب بيت وقوى له ماذا جرى في قلبه جهوده
 وبعث سدسى الى ابراهيم كنه روحا للشه
 الى رتا المم وام احمد و احمد واخوات بر من اذ كان من بيروت
 شهيد

منهج
 ابراهيمان جودانه
 محمد صلاح ووالده
 منير احمدانيه

وكان يكف وحكي من يسانى على بطركم

جست

مرت على طريا وانا في تايلى ترا حيتى في
 زينت وامت سبه ورجب نزل النيس لا اخا نما وجمعهم
 وحبشهم اذ ارجعتك اذ ترمى في ورجس من
 تلوكت اعدام



التيات عنوان الفصح

لاطس في بابايت حح

قراظنون : (١٦)

حظون البيط (٣)

عزير في وليمه

تدري، التي وحطكت لونها والحيات الشم كسر هذا
الطيرب وكون البري منيد السطوح يدي السطوح والبري
التي ريا في باجديري في عابره هنيهة جاسد وانا منكر
في كسر لحدس بيديع الدم مناجيه شيئا هربا في آدم
وعبر، قمت يا ايل المنيد والشيخ الجليل كين قيسر وصيا
يهور احباب وخذون . م قال كمت شيئا جسد في السور
على هذا الحب من هربت وقتلت كمت الجبال والودع الجبل
سور الزمر في عابره الم . قمت هنيهة لك يا ايل الخدم
اذي اذ اقد قمر اضيق حاضيت وصيا في هذا الكرم
حالا اين انت وكيف قيسر وكلمه وياي اذ قمت قيسر الحب
ورشتي ايد في الضا والقدر في السهم ناريه احصيت حبال
وحصا لم يقيت واذي اذ اذ حرا والعيسر قوت لحد واذي اذ
حاليه من العصاب والحقون .

ياخذ كمت يوم كمت بانبات اذ في بريرة السور حسن
والهذه السيم وقصبي كان يرقعه طويلا عنه ما كمت شبيهه
لوجوده . اذ اذ كمت وتكبيره لا كرم الفراق . اذ كمت تلك
الذما كمت التي مررت بين حبال السور من السور احصيت فكري
الا كمت يوم كان السطوح وحضنتك يبرها اذ شق منه



کتابت متون کتب

تاریخ

نزهة القلوب : (۴۲)

مکتوبه المجلد (۷)

فما من سرور في ساحة الدنيا اعجب ان يكون يا صديقي هذه القوافي
 صبار وده بونى كل وقت يوجد بالمقرب فذلكه تراث نفسي
 على شغفك في الدور وريشه من فناء اوكسين وحيات سحر
 عيونك في مثل الى اعوامه فكلين حتى اشهد بالجمال وحيات
 الله والديات ، ان نفسي ان يكون خديتة على عتال الكرم
 وذا صوم صديقه بجمال وقلوب اجمع غير حاسه ليد حب الى
 اي عالم الخيال والخيول ، نعم كنت سعيدة ودا حذر
 على سعادته وقلوبه انما ليس وسبب هذه القوافي
 هو السعد عذبة فذلكه اصبرتي والله انك المروحي التي تفر
 بوليكين لجسد بعينين يا صديقي

الهدى صديقي انما انما بكم وقلوبه وقلوبه مع القوافي
 حبيبين بربهم صديقي انما اسم حبيبتي وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي من القوافي وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه

فذلكه انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه
 انما بكم مع القوافي وقلوبه وقلوبه وقلوبه

يوم الجمعة ١٠ شعبان ١٢٩٥

المجلس الأعلى للدراسات الإسلامية

[illegible]

مرکز او اوس اشیا جدیدہ غائب نہ اسر لانا فراموشی غصہ البسہ
 عاتک وادام الحب لشخصك وروقت اللطيفه
 فی البوسه انقادہ ساجدہ روئے شرفی اذا مار جعت ای
 بیرون دن الیوم الیحد وغیر قلمہ اشرفی او فدا جود ویدر انشرفہ
 هنا دیر فی جد اوس انما بہتم تیرا لاجل اهدر سلاسی
 ای محبت جہتی تیر و طہینیت جنتہ . بفر سدر الی منع مشربہ و مہل و مہین
 دن طہ و کرمہ دیر ان هنا مہر طرکم و دوس جہتی
 جعت

نور تجلی کی بندہ اور تیری نور
 مشوار ای سوریہ غاذا انشا و طہ
 ساجدہ روئے المیزان وادام
 جعت

نہا السبب فی ما کانوہ فی ح

عزیر فی علیہ

فہدث جادہ جادیر سترکۃ اللہ العام
 "ستر دکلن" من حیفا وکلک مدہ سالی الجادہ جن ہی ستر
 السترکۃ بمخصوصہ قتال اللہ واد بآنہ سند کل سرور
 انہ یوظف فی سترکۃ وانی لہ ذہبہ حادہ ای
 سترکۃ لک لک شادہ عتد فی القابہ سالی لک
 مستنفرہ و رعدہ لک ایوم حتی لڑا و خیرک بما سیدون
 فی لک الصباح رجع الستر دکلن" من سترکۃ
 مع الدیر فی تہلک اللہ و سادہ الجادہ ہی کبک عزیر فی واض
 عتر لک لک العتد فی بینہ عتد و تجتمع مع الدیر العام و فی
 رجعتہ ہم ساعترک عتد الشجہ
 اما فی جہز کوبیہ "نانہ لک ای المندہ لک
 سیدو ریکو) لک لک الجہز لک اللہ لک لک لک لک لک لک
 جہز لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک
 لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک لک
 وای التطورہ المندہ و لک لک لک لک لک لک
 جہز لک



ت- أخوه محمد رستم حيدر

جاء في ديوان الشاعر الحاج عبد الحسين الأزري الصادر عن مؤسسة النعمان - بيروت ص ٣١٠-٣١٣:

«هو محمد رستم حيدر، من رجال السياسة العربية في فجر عهدها الحديث. ولد ببعلبك سنة ١٨٨٩ وتعلم بدمشق وتخرج من المدرسة الملكية بإسطنبول، وأتم دراسته في جامعة السوربون، ومدرسة العلوم السياسية بباريس، وشارك في تأسيس جمعية «العربية الفتاة» وعين مديراً للمدرسة العربية السلطانية في بيروت. ثم أنتدب للتدريس في المدرسة الصلاحية في القدس، وفي السنة الأخيرة من سني

الحرب العالمية الأولى التحق بجيش الملك فيصل الأول، وبقي مشاوراً له، وذهب بمعيته إلى باريس في مؤتمر الصلح كمندوبٍ ثانٍ. وفي سنة ١٩٢١ جاء مع الملك فيصل إلى العراق، فعين رئيساً للديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك.

وفي سنة ١٩٢٩ عين وزيراً مفوضاً ومندوباً فوق العادة في بلاط شاه إيران على أثر اعتراف إيران بحكومة العراق. وفي أواخر سنة ١٩٣١ عين عضواً في مجلس الأعيان ثم أسندت إليه وزارة المالية فوزارة الاقتصاد مرتين. وفي أواخر ١٩٣٤ أعيد تعيينه لرئاسة الديوان الملكي وسكرتيراً خاصاً للملك غازي، ثم أنتخب في المجلس النيابي وعين وزيراً للمالية وبينما هو في مكتبه الرسمي سنة ١٩٤٠ دخل عليه مفوض في الشرطة وأطلق عليه الرصاص من مسدس بيده فأصابه إصابات مميتة توفي بعدها. كان يجيد من اللغات بجانب العربية التركية، الفرنسية والإنكليزية.»

كنت أبتعد عن الأسئلة الحساسة التي أخشى أن تثير أشجان الشاعر وأحزانه، ولذا أخرجت السؤال عن الشخصية المهمة في حياته بحسب تقديري.

أخيراً رأيت أنه لا بدّ مما ليس منه بدّ، فطرقت الموضوع من دون مقدمات.. سألته:

من الشخصية التي كانت أكثر تأثيراً في حياتك؟

فأجاب:

إنه أخي المرحوم محمد رستم*.. إنني أعتبره أبي وأخي ومعلمي.

* جرى حديث طويل بيني وبين الشاعر جودت حيدر، وأحست أنه يحفظ الصغيرة والكبيرة من حياة أخيه وتعلمه وثقافته وأخلاقه ونضاله في سبيل العروبة، ومراكزه العليا التي تبوأها لدى الملك فيصل منذ التحاقه به في الثورة العربية الكبرى..

أحسست أن حديثه يحتاج إلى كتاب كامل. فقد كانت تأتية الأفكار واحدة تلو أخرى متتابعة متسلسلة كأنها كانت على رفوف مكتبة مبهوة يتناول منها الفكرة التي يريد دون عناء ولا إضاعة للوقت.

تحدث طويلاً سلساً تارة هادراً تارة، لكنه كان في كل حالاته، وكل نبرة من صوته قلبه يقطر حباً لأخيه، ويظهر التقدير الشديد له. ولما كان هذا الكتاب كتاب مذكرات يؤدّ الشاعر أن يكون الحديث عن أخيه مقتصر على علاقتهما. أما التاريخ.. تاريخ المرحوم محمد رستم فحاول الابتعاد عنه في هذه المذكرات تاركاً تسجيله للتاريخ، وإن كان قد تحدث لي بشكل مفصل ومركز في جلسات كثيرة.



جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود وجلالة الملك فيصل الاول
ومن خلفه رستم حيدر في مؤتمر نجد - العراق

كنت ألتقيه حين أحتاج لمشورته في الأمور المهمة، فأمضي إلى العراق، وأحد هذه اللقاءات يوم تركت الجامعة الأمريكية في بيروت مصمماً على الذهاب إلى الولايات المتحدة لإكمال دراستي فيها، كان في بغداد وبحضور الملك فيصل، ورأيت الشاعر محمد مهدي الجواهري خارجاً من البلاط آنذاك. وبعد سنين عديدة أرسل إليّ الشاعر الكبير ديوان شعره مع الإهداء مرفقاً بالرسالة الآتية:

دار الرافدين

للطباعة والنشر والتوزيع

سيادة الأخ الكريم جود تاج الدين المستر

أتقدم اليك بخالص تحياتي واحترامي ، وما أستاذنا بالمعنى الذي نعني به ما أعزبه علينا
مكافأة الرقيعة وشرف بيتك الأسيل (آل حيدر) فضلاً عما أمل من صميم قلبي أن لا تنسين فيك
الذاكرة وإن طرأ بعد السنين أن وإن طرأ بعد سنين ما ما أو ما يقرب من ذلك من أنني أجد كسر
للشدة الأياصر بني جبين القنفذ والشهيد (صدام) من أشد زينة وهو وليس الذي كان الطلسماني
يصفه له أيام كنت من حاشية الملك فيصل الأول ومن دعوة القويين إلى الله نفسه وإلى أمسين
سره العظيم (رستم حيدر) الذي أود أن أطلبك صورة مصغرة ودالة على أكثر وطني أفر منسبا
هو أن القنفذ وما استطاع عليه في كتابي الجدات كان مرجعي الأول والأخير لي كل ما كان معني
لي من هذه المشكاة أو تلك ، وأني الوحيد الذي كان إلى حاشية بي كل رحلات الطيف فيصل
الأول إلى كل أساء العراق .

أخي الكريم ..

حسبي من الشواهد والأدلة الموثقة على تلك الأواصر الوطنية والعريقة بني هاشم
التي قد أنتم اليك - ولأول مرة أتقدم به إلى أحد غيرك - جوداً جديراً من هذه الطليقة
الرفيعة على يد الأخ الفاضل محمد سعيد الطرمحي من عهد الملك غازي ومثل الشهيد رستم
في كتابي الجدات من نومه وبمنازل (ذكواتي) والذي سيكون لي شرف تقديمه اليك خلال
هذا الشهر - كما أتوقع - وفي بيروت نفسها حيث قد أنجزت أسطيفتها أيضاً .

أنني أجد هذه اللقطات تمهيداً لما أتوقعه من تلك وكبرك أولاً ، ولعزيمي السني
لا يفلأ أبداً من حرصك أنت على تحليتي ذكرى القنفذ الجليل وعلى تقديمه إلى الجاهل
الغفيرة التي تود من صميم قلبي أن تتعرف اليه ، وذلك بأن تطيّف طلي وطلي
زود الوادع من رز الجدادة والتي تكاد تنسى - (دار الجواهر) لتكون هذه الذكريات
عن القنفذ تنويعاً لدار الرافدين .

وأعزوا فهذا حلّ ما أشتاء وشتاء الناس يعني كل أشرفت ، ولك
الدمال على أقد حال .

محمد سبدي الجواهري

دمشق في ١٤/١٢/١٩٨٤



عصر الميكنة - شارع الوحدة

سوريا - دمشق س. ب. ٤٢٢٢

DAR AR-RAFIDAIN

Syria - Damascus PO BOX 4253

فأجبت بالرسالة التالية:

بيروت هي : 13/7/1988

دار المرافقين للطباعة والنشر والتوزيع
دار المرافقين للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - سوريا

معذرة الاخ الكريم محمد مهدي الميراني المصير .

سألاكم ونحبكم .

عندما قرأت فتاحكم الميراني والمذكور ركت حيل اذاكرة ورجعت
في طيات الذاكرة معبراً اربعة وسعين عاماً الى السوراء - ترانس الآن واما اكتب اليك
هذه الرسالة قلبي في بيروت وعيالي في بغداد جالسا مع المغفورة الطليحة
فبفضل الارل والمعلوم اخي رحمتكم .

ان الالام منعظاتها وقرارها فان ذهبت كان الموت وان تردت كان المير
منقذا لها - المصير في نكر - هو الزمن لان الزمن ما كان الا ان يكون سر الطيور والفلود
سر ما كان ان يكون .

كشافة " نكروك " - سكاون مرجعا لخير - من تاريخ العارفة - مرجع
لأشخاص ماتوا وفي خيالهم الامة العرسة وطنا واحدا موحدا - الحق في ناله ما اخي سكاون
يرجع للظن فعدوا ان فتاحوا ايملا .

أما بعد فالذي يصير - اليد قد سفلت وقد طبعه مذكرة المرحوم رسم
وبصري رشحها براسة الدار العربية لثقافتنا واخي ميراني لكم علة سببها
مع تفسيري وقال - من احب رامي .

أما أنا فقد صعدت لي ديوانان من الشعر في
اللغة الانكليزية وانني بسدد نشر الديوان
الثالث واكون جد مسرور ان تتيح لي الفرصة لكي اطبعه
في " دار الرافدين " اي " الجواهري " •

أمل ان نلتقي قريباً لنتكلم عن الماضي وذكريات
وعن الحاضر وتنبؤاته والله يعلم ما في الصدور •

وبالختام ارجو ان اراك بصحة تامّة
يا شاعر الوطن المخلص والفيلسوف الحالـد •



جودت حيدر

و كنت ألتقي أخي يوم كان يأتي إلى بعلبك، وأذكر يوم جاء معزياً بسعيد باشا
سليمان حيدر.

كانت هذه اللقاءات حلوة و كنت أتمنى لو كانت أكثر، أو لو كنت دائماً إلى
جانبه، غير أن أعماله الكثيرة من جهة، واهتمامي بمستقبلي من ناحية ثانية جعلاني
أقبل بهذا القدر القليل من اللقاءات.

إثر انقلاب بكر صدقي في العراق سنة ١٩٣٧ اضطر أخي لترك بغداد والمجيء إلى لبنان، حيث بقي عندي في طرابلس فترة من الزمن زدت فيها تعلقاً به وإعجاباً بأخلاقه، وكنت آنذاك في شركة البترول العراقية، ثم سافر بعدها إلى أوروبا.

اغتياله ومآتمه ومدفنه

سنة ١٩٤٠، وأنا جالس في مكتبي في دير الزور/ سوريا جاءني اتصال يقول بأن طائرة شركة النفط العراقية قد أرسلت من حيفا على جناح السرعة لتقلني إلى بغداد لأن أخي قد أطلق عليه الرصاص في مكتبه بوزارة المالية العراقية.

أخبرني ناقل الخبر هاتفياً أنه حيّ، غير أن حالته خطيرة، وقد نقل إلى المستشفى الملكي، والدكتور كروكشن يجري له عملية في بطنه.

رحت أكلم نفسي.. وقد راودتني خواطر فيها أمل، وأخرى تنهك عزيمتي وتهذّ قواي فأستنجد بالله

ترى هل أجده على قيد الحياة؟ هل أنعم بشفائه وعودته إلى عمله بجده المعهود؟ هل سيعود رستم إلى رياضته (رياضة المشي) التي لم يتخلّ عنها يوماً؟ كم أتمنى أن يشفق عليّ الله ويقيه...

وتأتي الأفكار قائمة سوداء.. قد يكون فارق الحياة، وما هذا الكلام الذي أخبرت به إلا نوعٌ من المسكّن ريثما أصل إلى بغداد..

لا.. لا أريد السماح لهذا الخاطر.. فابتعد أيها الشؤم.. إنه بخير إن شاء الله

ما أن وصلت إلى بغداد وترجلت من الطائرة حتى هرعت كأسرع ما يمكن أن يهرع رجل إلى المستشفى الملكي فطلبت الدخول، وجاءني الجواب: إن الدخول إلى غرفة رستم ممنوع.. ثم تراجعوا عندما علموا أنني أخوه.

سمح لي بالدخول.. دخلت وكلمني، وأحسست أن حالته ليست خطيرة، وأنه لا بد سيتمائل للشفاء بسرعة، ولكن الذي نغص عليّ تلك الأيام الثلاثة في بغداد قول الدكتور أحمد قدري: إن وضعه دقيق للغاية وغير مطمئن..

بعد ثلاثة أيام كنت في منزل حسين أفنان مدير السكك الحديدية حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً لما جاءني مخابرة من أخي يطلب فيها الذهاب إليه حالاً.

ما أن سمعت الكلام حتى مضيت سريعاً تراودني مخاوف تقبض على قلبي قبضاً شديداً. فعلاً كنت خائفاً جداً..

دخلت غرفته فأحسست أن مخاوفي هذه المرة في محلها.. كانت حالته قد ساءت وتندر بشيء لا أريد أن أراه..

قال لي: جودت لقد بدأت أحزق، وهذا دليل على أن الالتهاب بدأ في عمليتي، وسأنتهي بسرعة. لذلك أوصيك:

أولاً: عليّ دين ثلاثمائة دينار عراقي لدائرة الأوقاف سدّدها عني يا جودت وأنا متأكد أنك ستفعل

ثانياً: عليك مسؤولية الاهتمام بالعائلة فلا توفر من أجلها جهداً.

ثالثاً: خذوني وادفوني في بعلبك.

وسألته عن أسباب الحادث، وإذا ما كان يتهم أحداً، فأجاب.. لا.. لم أؤذِ أحداً طوال حياتي، وقمت بعملتي بما كان عليه عليّ ضميري، لذا أنا مرتاح.

لا تتهم أحداً يا جودت.

لديّ أوراق بخط يدي خذها وحاول طباعتها، فهي مهمة..

يجب أن تطبع هذه المذكرات.

أطلب منك أن تكون صادقاً مع وطنك ولو قست عليك الأيام، وخانك بعض من تحسب أنهم لا يخونونك، وقلب لك الدهر ظهر المنجّن.

كن صادقاً مع وطنك لأن كل ذرة تراب في الوطن تفدى بالروح..

كن مع وطنك دائماً ولو لم تصل إلى حقلك فيه.

اعمل لوطنك بكل ما أوتيت من قوة فكر وساعد، وسيذكر التاريخ للعاملين الشرفاء أعمالهم، وللمتأمرين آثامهم.

أعطني خدك لأقبله قبله الوداع...

ثم أسلم أخي روحه إلى بارئها، وأحسست أنني كطائر كسر جناحه.. حاولت أن أتماسك وأن أقوى، لكن عبثاً لأن أمثاله يحق أن تبكي عليهم البواكي، وأن تمتلىء القلوب عليهم أسى وحسرة.

وأصدرت الحكومة العراقية مرسوماً بدفنه في المقبرة الملكية قاطعة عليّ الطريق بنقله إلى بعلبك.

حاولت، وراجعت المسؤولين، لكنهم أبوا.

كنت أقرأ الصحف، وأستقصي عن المجرم الذي قتله، والأسباب الكامنة وراء الجريمة، ولكنني كل مرة أعود إلى وصيته وقوله في آخر ساعة التقيته فيها وهو على قيد الحياة.

«إنني لا أشك بأحد.. ليس لي عدو.. لم أوذِ أحداً طوال حياتي.. قضيت عمري في سبيل الوطن والعروبة».

الوداع الأخير:

وحان وقت الوداع الأخير، فمضى أخي إلى جوار ربه، وبقيت أنا كمن ليس له في الدنيا أحد، اللهم إلا هذه المسؤولية الجسيمة التي حمّلتني إياها في وصيته الأخيرة.

عُينت الساعة التي ينقل فيها الجثمان إلى مثواه الأخير، وخرجت بغداد عن بكرة أبيها لوداعه، واصطف الأهالي على جانبي الشارع المؤدي إلى المقبرة الملكية، وطوله حوالي سبعة عشر كيلو متراً.

وإذا نظرت إلى أعالي السطوح لا تجد إلا نساء متراصات يوحين لمن رآهن أن نساء العراق كما رجاله قد خرجن دون استثناء لوداع الشهيد الذي قال لي في لقائنا الأخير: «ليس لي عدو».

كانت النساء يصرخن ويعولن ويدعون على الجاني المجرم.

وجاء آلاف من على ضفاف الفرات يودعون الذي كان نائباً عنهم، وجاءت عشائر جدودنا بني أسد لتلقي التحية على الراحل الغالي وتودعه الوداع الأخير.

في خضمّ هذا الحشد الكبير كانت الجنازة تشق الشارع إلى المقبرة الملكية.

ورغم حزني الشديد على أخي، كنت حين أنظر إلى الناس والدموع تنهال من عيونهم أشعر بعزّة تبلغ الذروة، وبفخر بالرجل المناضل في سبيل وطنه وعروبته، والذي عمل طوال حياته لإعلاء شأن أمته ورفع مستوى كل فرد شريف فيها.

وكنت أحسّ أن الدنيا كلها قد لبست ثياب الحداد لوفاة الشهيد.. وكان هذا الشعور حقيقة، فقد أفاضت الصحف العراقية والعربية والعالمية في نشر المقالات والحديث عن سيرته ومزاياه، وعن نضاله المتواصل، كما ألقيت في المجلس النيابي العراقي الكلمات المؤثرة في رثائه، ونكست الأعلام ثلاثة أيام حداداً.

وعلى الرغم من ذلك كله، كنت أحس أنني وحدي الذي فقد أخاه وسنده.. حزني يساوي حزن هؤلاء الناس جميعاً، وأولاً وأخيراً المأساة بشكل خاص ودقيق مأساتي أنا.. والحمل بعد رستم سيكون عليّ ثقيلاً.. رغم أنني لم أعبأ طوال حياتي بالصعاب، فكانت قوتي بوجوده إلى جانبي.. وعاد الفكر إلى الورا.. وخرجت بالنتيجة التي رافقتني طوال حياتي في كل أزمة، ويوم يتكالب الدهر بمصائبه لينهشني، كانت النتيجة: يجب أن أتماسك وأقوى على الدهر وأتحمل كل المسؤوليات التي طلبها مني وأريحه في مثواه لأنني نفذت وصاياه.



جثمان رستم حيدر محمولاً إلى مثواه الأخير في المقبرة الملكية بالأعظمية ووراءه افراد أسرة حيدر



المرحوم الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وإلى جانبه السيد جودت حيدر، أمام نعش رستم حيدر



المقبرة الملكية بالأعظمية (بغداد) حيث يرقد رستم حيدر

وتوالت عليّ برقيات التعزية من كل مكان.. من البلاد العربية.. أميركا وأوروبا، وكل من يعزيني يشعرني بحزنه العميق، وبخسارة البلاد العربية علماً من أعلامها الكبار، ولم يقصّر الشعر في هذا المضمار فقد تبارى الشعراء من شتى أقطار العرب يرثون الفقيد الكبير، ومن كبار الشعراء الذين قالوا الشعر في رثائه: الشاعر البعلبكي، شاعر الأقطار العربية وأحد أقطاب الشعر العربي في عصر النهضة خليل المطران الذي رثاه بالقصيدة الآتية:*

روّعت بالفراق بعد الفراق وبها ما بها من الأشواق
«بعلبك» تبكي وليداً تردّي نازحاً واحتوته أرض «العراق»
كان سلوانها رجاء تلاقٍ أين أمسى منها رجاء التلاقي؟
لا تخافي اغترابه، وتخالي أن بُعداً تباعد الآفاق

* ديوان الخليل، الجزء الرابع، دار الكتاب العربي-بيروت، لبنان (ص ٢٤٠-٢٤٢)

وتنابي الخلال والأخلاق
لكريم الأصول والأعراق
سقته سحب من الآماق
في هيبة وفي إطراق
م وزكى دعواه بالمصداق
مخلصاً ودّه بغير مذاق
ت السجايا وبالطباع الرقاق
ع أواناً لمثله في المراقبي
في المعالي معجلاً للمحاق؟
دمه الحرّ؟ تبّ أهل الشقاق!
من تراث أيام الاسترقاق
دية المجد بالدم المهرق
الضّاد أغلى النفوس والأعلاق
فتنة من خبائث الأعماق؟
ذمماً للقتيل في الاعناق
فيها عن شرعة الخلاق
من ذوات الأنياب والأشداق
ومُفني الديار بالإحراق؟
ومبيد السفين بالإغراق؟

إنما النأي في اختلاف المرامي
ليس في موطن الكرام اغتراب
لحد ذاك الفقيّد إن ضنّت السحب
ويحيي حجيجه العزّة القعساء
«رستم» كان في العراق من القو
عاش فيها محبباً وحبیباً
مالكاً منهم القلوب بزيننا
قمر سابق الظنون ولم ير
أترى كان ذلك الوثب منه
أيّ جانٍ سما إليه فأجرى
ذلك الرهط بئس ما تركته
لو أبید الأشرار لم تف إلا
وفدّى للإخاء بين شعوب
ويلهم، ما أفادهم أن يثيروا
أحنقوا أمّه عليهم وزادوا
نحن في حقبة تحوّل حال الخلق
عاد فيها ذو المبسم الحلو أضرى
أين دامي الأظفار من قاذف النار،
ومعيد النسيم سُمّاً زعافاً

لكأني بالعلم سخرَ فيها
والحمام المصيرُ في الكون، من
محنة إن تك المنية منجاةً
بل لعلِّي شططت في الحكم
قد يجيءُ الخير الكبير من الشرِّ
يا فقيداً مثاله الحيُّ لن يبرح
أمة العرب ذاقت الهون أحقاباً
كيف تنسى فضل المنادين بالوحدة
والألى أفنوا العزائم في ربط
فلتكن للعهد الجديد شهيداً
كلّ بذل كما بذلت خليك
إلحق اليوم «فيصلاً» فلقد كنت
ولو الواجب المخلف لم يثنك،
وأجب مرهق التكاليف،
لك فيه بتٌ قويٌّ، ورأي
شئت من شئت في الوزارة بالحق
وأيت الإصلاح من حيث يؤتى
يا بني «حيدر الكرام» أعزيكم
رزؤكم رزؤنا، وكالعهد في الودِّ
شاطر العرب حزنكم وتلظى
عظم الله أجركم ما صبرتم

بأسه للطغاة والفُسّاق
يعلم سرّ البقاء غير الباقي؟
فمنها، والفوز للسباق
والأحكام لا تستقيم في الإطلاق
إذا جاز ماله من نطاق
ملء القلوب والأحداق
طوالاً، والهون مرّ المذاق
والواضعين للميثاق؟
الأواخي وفي التماس الوفاق؟
خالداً بالذكرى عن استحقاق
بجزاء من الفخار وفاق
لخير الملوك خير الرفاق
لم تلف مبطئاً باللاحاق
أدّيت تكاليفه على الإرهاق
واسع الأفق، ساطع الإشراق
ووفيت ما اقتضت من خلاق
في الأمور الجسام أو في الدّقاق
ودمعي من حرّه غير راق
خوالي أيامنا والبواقي
كل قلب لمجدهم خفاق
ووقام مكاره الدهر واق

أما أنا فرأيت في موته أن العالم يمشي ليدفن عالماً:

Rustem Haydar

Go ye a pilgrim to Baghdad and look
At the world marching to bury a world
He, the tongue of wisdom in speech and book
Was shot and to the grave of time was hurled

Rustem, the mason of the Arab land
Was carving the pillar of liberty
From the firm Arabian granite by hand
A sign of valor, love and unity.

Feisal the great king knew he was the brain
The vision of hope to rebuild the empire
Like him rarely a man to live again
A man with a heart of prudence and fire

Truly the empire he planned in his mind
From the Atlantic to the Gulf to be
For the generations to come behind
A huge bastion of might and chivalry

At the grave they bid him farewell today
And the drum fire set the heaven to flame
He isn't dead, he's walking the years, they say
With the greatest name of glory and fame.



المعزون يؤمون منزل جودت حيدر في بعلبك



تحدث شاعرنا بحزنٍ وألم عن وحيدة بسام وفقدانه إياه في عمرٍ مبكر فقال:
«أتم بسام دراسته الابتدائية والثانوية في ال IC، ثم أكمل تحصيله الجامعي في
الجامعة الأمريكية في بيروت AUB.

وانخرط في العمل الصحفي في مجالٍ أحبه منذ صغره، المجال العلمي المتعلق
بميكانيك السيارة. وبجد ونشاط وإصرار ناضل حتى حاز على امتياز «مجلة
المحرك» بدءاً بالسيارة وانتهاء بالطيارة والصاروخ، وهي مجلة علمية اختصاصية
تبحث وتكتب عن كل ما يتعلق بالمحرك، وهي أول مجلة صدرت في لبنان والعالم
العربي في هذا المضمار.

غذّي مجلته بكل ما لديه من خبرات ومعرفة علمية ميكانيكية دقيقة، وما في طاقته من حب للعمل والدأب المتواصل.

كانت مجلة «المحرك» تظهر في الأسواق، وتبشر بما يعمل له بسام، غير أن الذي منعها من مواصلة الطريق كما كان يأمل صاحبها هو أن قراءها كانوا قلة؛ فتوقفت «المحرك» عن الصدور. فتعاون مع سليم اللوزي صاحب مجلة الحوادث وكانت له زاوية خاصة تتعلق بالمحركات والطيران والفضاء..

كانت له طموحات عديدة تدور في إطار المحركات ابتداء بالسيارة حتى الطائرة والصاروخ.

كان رائداً من روّاد رياضة سباق السيارات في لبنان، والأول في نقل هذه الرياضة من هواية فردية إلى فن له طرقه وشروطه، وما «سباق الكارتنغ» في المريحة بضاحية بيروت الجنوبية إلا نتيجة لعمله وجده.

وقد نشأت هذه الرياضة في الأردن بتوجيه من جلالة الملك حسين الذي كانت تربطه ببسام صداقة قوى أو أصرها وشدّ وشائجها علاقة أصيلة بين آل حيدر والأسرة الهاشمية، نتيجة العلاقة المتينة بين الملك فيصل الأول ملك العراق وأخي محمد رستم حيدر.

اهتم بسام أيضاً بسباق سيارات، «الستوك كار»، وأجرى أول سباق من هذا النوع في المدينة الرياضية ببيروت.

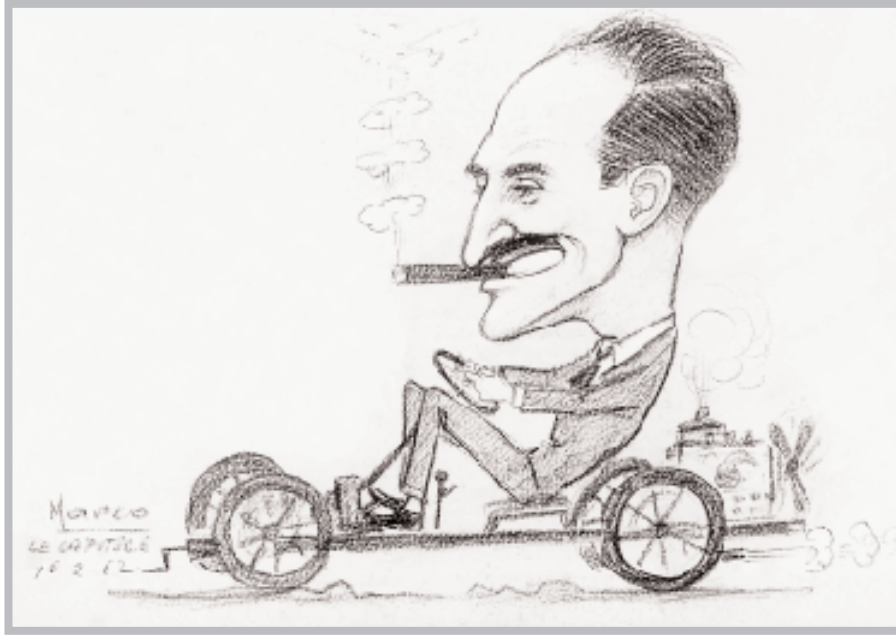
وعمل كذلك على صعيد «الرايات»، فوضع فكرة «راي» لبنان سوريا، ورسم خرائطها ومخططاتها، وقام بتنفيذها على أرض الواقع، آملاً أن يكون هذا الخط عاماً وشاملاً كل البلاد العربية، ومتحلياً بصفة دولية.

أثناء الحرب الأهلية غادر بسام لبنان إلى إنكلترا هو وزوجته وولده جودت وجنين، وفي لندن عرضت عليه عروض مغرية، وقدّرت الشركات العالمية إمكاناته في مجال المحرك وعلى مستويات المحركات كافة.. وكان من الممكن أن يصل إلى درجة عالية لو أن القدر أتاح له فرصة من العمر..

لكن المرض العضال داهمه ولم يمهله..

في إحدى زيارته إلى لبنان كنت أمشي وإياه في حديقة بيتي ببلبك وكان يشكو من ألم في ساقه.. وقطع حديثه الذي كان قد بدأه وتوقف قائلاً: بابا أحس أن دماغي لا يعطي ساقي الأوامر بالسير أو الحركة.

لم يقل هذه الكلمات حتى ملأ الخوف جوانحي، وسرى في كل عرق من عروقي.. مات بسام.. ومات فيه أمله وطموحه تاركاً فينا آلاماً ممّضة وحزناً عامراً، وغمامة سوداء قائمة، وأثراً كبيراً في حياتي يضاف إلى موت أخي محمد رستم وزوجتي. وتاركاً في نفوس أصدقائه ومعارفه ذكرى لا يمكن أن ينسوها.. وهذا نموذج مما كتب عنه بعد وفاته:



دائماً في القلب والفكر يا أستاذنا الكبير

(بقلم الصحفي ابراهيم فخري)

عندما التقيته في بداية السبعينات، في مكتبه في دار الحوادث في الشياح، لفتت انتباهي خوذة بيضاء لراكبي الدراجات النارية مهشمة الجوانب، يحتفظ بها في مكان بارز في غرفته المطلة على عين الرمانة. وعندما سألتها عنها باستغراب،

أجابني مشيراً إلى الحادث الذي تعرض له على متن دراجته النارية، والذي كان لا يزال يعاني آثاره في رأسه وصدره، تأمل، لو لم أكن أعتمر هذه الخوذة لكان رأسي بهذا الشكل والغريب أنه حتى الآن، لا يزال المسؤولون عندنا يعتبرونها غير إلزامية لركوب الدراجة النارية».

يومها، اعتبر بسام حيدر نفسه، وإثر نجاحه بأعجوبة من هذا الحادث المروع، قد ولد من جديد، وولادته الجديدة هذه كانت ضرورة ماسة للصحافة التقنية في العالم العربي، ومن دون أدنى شك فهو رائدها الأول.

فكرة إصدار مجلة تقنية تتعاطى كل ما هو ميكانيكي، وباللغة العربية، راودته وهو على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت، وكان يؤمن بأن النشء العربي، بحاجة لمثل تلك المجلة الناطقة باللغة العربية، وهي المفقودة من قاموس الصحافة العربية في طول العالم العربي وعرضه. وكان أن أصدر مجلة المحرك والتي تمكنت من الصمود فترة من الزمن، لتتوقف عن الصدور لاحقاً لا لشيء إلا لافتقارها إلى زيت الحركة والمتابعة، وبسام حيدر كان باستطاعته إكمال هذه الرسالة يومها، وهي غايته قبل كل شيء. إلا أنه كان يعز عليه أن يرتهن كغيره، ويقف مستجدياً على عتبة الكبار.

ولعل صراحته كانت تقف دائماً في طريقه، وعند مطالبة بالتروّي، كان يغضب ويغيب: «وماذا يبقى للإنسان إذا فقد حرية التعبير؟ أنا لن أختبئ أبداً وراء ظل إصبعي، وتأكد بأنني لن أموت من الجوع....»

الصحفي الكبير، سليم اللوزي آمن به وبطموحاته الكبيرة في إصدار مجلة عربية علمية موسعة، تتعاطى كل الأمور التقنية وكل آلة تعتمد المحرك في التشغيل، سواء كانت سيارة أو طائرة أو باخرة أو حتى صاروخاً، ووجد في هذا الرجل الإصرار الذي تميز به اللوزي عندما أصدر مجلة الحوادث في الخمسينات. وكانت مجلة الموتور الوجه العلمي للحوادث التي أدخلت إلى الصحافة العربية آفاقاً جديدة، ليتفرع عنها ملاحق الطيران والفضاء والسلاح والدفاع، ولتصبح ثلاث مجلات في واحدة، وكان بسام حيدر في هذه المجلة، الأستاذ والزميل والصديق لكل من عمل معه.

بسام حيدر، لم يكن بالصحفي الذي يكفي بالجلوس وراء مكتبه وكتابة مقالاته التقنية فقط، بل كان رائداً من رواد رياضة السيارات في لبنان، وهو من الرعيل الأول الذين اهتموا بهذه الرياضة. فعشاق هذه الرياضة يذكرون دون شك، سباقات الكارتنج في المريجة والتي عمل على نشرها في دول عربية أخرى مثل الأردن، والستوك كار في المدينة الرياضية خلال الستينيات، والذي كان منسقها الأول، حيث تمكن من إقناع عدة فرق دولية للاشتراك فيها، وكان له أكثر من نشاط على صعيد الراليات، بل كان أول من وضع فكرة وخرائط طرق رالي لبنان سوريا الشهير، وقام بالتخطيط لها على الأرض مباشرة. وإن كان غيره قد تولى تنفيذها. وكان من أهدافه الرياضية إقامة رالي يتحلى بالصفة الدولية، تجمع طرقاته الدول العربية في المنطقة. وكان شعاره دائماً: إذا كانت السياسة تفرق فالرياضة تجمع. ولكن بسام انطلقاً قبل أن يحقق حلمه، وذهب فجأة لترك غصة في قلوب من عرفوه حقاً. وإن غيَّب الموت جسداً، فالطريق التي استكشفها بسام حيدر ما زالت بانتظار سالكين جديداً.

لا نقول وداعاً يا بسام، بل أنت دائماً معنا في القلب والفكر يا أستاذنا الكبير. بعد وفاة بسام انفطر قلبي وتفجر قلبي وبدأت الكتابة باللغة العربية، وكتبت هذه الأبيات:

«وجودي لا وجود»

وشوش وشوش وشوش شواطئك الرملية يا بحر*
بأمواج من السبق غازيات الرمال تيهها
تترجع قهراً بقعقة فهمها غامض
آه لو علمت ما بها لعلمت سر الوجود والخلود
شريط الحياة وجود لا خلود
خذ من البحر عبرة وامش يا صاح
على دروب الحياة حكيماً في الوجود
وخذ من الطبيعة أخرى

* الصوت والمعنى واحد في هذا السطر

الشتاء مع قسوته يعطي الحياة عيشها
والربيع وردة خلقت لتموت
لولا قطرة الشتاء لا حياة لا ربيع لا وجود
مشيت مع الزمان شتاء
وقطرة الشتاء ما كان لها وجود
يا زماني ماتت وردتي وأنا تراني ذاهلاً
في وجودي لا وجود

A Shelter Of Tears

In Memory Of My Son Bassam

O time! What a trap of smiles you have made
My spring days were so delightful to taste
But now I feel the keen edge of your blade
I suffer take me to your bosom in haste

The tears in the eyes a lake of sorrow
Within a faint shadow talking to me
"Pa dry not the tears hence nor tomorrow
Keep them in your eyes a shelter for me

One tear means a universe of despair
So why weep and count the tears in the lake?
One would be more than sufficient to bear
Be patient, Pa, stop weeping for my sake

Dad take care of Mom, Jawdat and Janine
Love them as always I've loved them before
Sorry my journey so early had been
To be with my dear mother for ever more"

O time! Should you be so bitter of breath
Having mothered birth and the years of care?
Why without notice your warrants of death
Are mailed to the King of Terrors by air?

O Havoc! O the storm of life the rain!
Should the Spring die Winter remain!
Take me O God! to live with him again;
I suffer take me to live with him again.

* * *



ميرتل وبسام

تزوج بسام سنة ١٩٦٤ من ميرتل مكنزي بعد قصة حب جميلة ورزقه الله
بتوأم جودت (Jody) وجانين.



في أكسفورد يوم تخرج حفيده يحيط بهما ميرتل وجانين

كان بسام يحلم بأن يكمل أبنه جودت (Jody) علومه الجامعية في جامعة أوكسفورد في بريطانيا. وهكذا وقبل وفاته بعدة أشهر تبلغ جودت (Jody) قبوله في تلك الجامعة المشهورة وزف البشارة الى والده... كأن الله أراد أن يحقق لبسام أحد أحلامه قبل وفاته.

أتم جودت (Jody) تخصصه في تلك الجامعة المشهورة حائزاً على الشهادات العليا في مجال الهندسة المعمارية.

أما جانين فقد أكملت دراستها الجامعية في جامعة كنتنبري في إنكلترا.



جودت وجانين

الفصل الخامس

في مجتمع الحياة

في معترك الحياة

أ- بعد شركة نفط العراق

بقي جودت حيدر في شركة النفط العراقية حتى عام ١٩٦٠ حيث طلب إعفاءً من مهامه الوظيفية، وعاد إلى بعلبك من أجل خوض المعركة الانتخابية، ولما لم تحالفه الظروف عاد للعمل الوظيفي من جديد.

شغل منصب المدير العام في شركة فرج الله للمطبوعات ببيروت سنة كاملة. بعدها انتقل ليستلم الإدارة العامة لشركة Mid East and Auto Trading Co التي كان يملكها آل الزاهد السعوديون. وبقي مديراً عاماً لمدة أربع سنوات. ازدهرت الشركة أثناء ادارته، وازدادت أرباحها أمثالاً.



جودت حيدر مع دولة الرئيس رشيد كرامي وآل زاهد

يتكلم جودت حيدر عن هذه المرحلة فيقول:

«كلفني أصحاب الشركة بالذهاب إلى لندن لشراء شركة Intercontinental. سافرت إلى لندن وكان برفقتي محامي الشركة الأستاذ أنطوان المالح رحمه الله (وهو صديق ونائب سابق في المجلس النيابي اللبناني).

بعد مباحثات طويلة أجريناها في لندن تمّ الاتفاق بيننا وبين الشركة على شراء ما لها في الشرق الأوسط (لبنان، الأردن، سوريا، العراق). بمبلغ خمسة وستين ألف ليرة لبنانية لا غير وهكذا تمت الصفقة.

كان لشركة Intercontinental مكاتب في مرفأ بيروت استلمت إدارتها إضافة إلى عملي الرئيسي كمدير عام لشركة Mid East and Auto Trading Co.

بعدئذ ذهبت مصطحباً معي الأستاذ أنطوان المالح إلى روما للبحث في اتمام صفقة أخرى مع شركة إيطالية لصنع قوارير الغاز ومحاولة الحصول على هذه الوكالة.

قبل سفري طلبت من مدير البنك المركزي في بيروت تزويدي بكتاب إلى البنك الأميركي في روما، حتى إذا ما تمت الصفقة واحتجت إلى النقود أستلمها هناك.

أعطيت الكتاب إلى مدير البنك الأميركي في روما، فسألني عن المبلغ المطلوب. قلت: الآن لا أحتاج أي مبلغ. وسأحتاج إلى المال إذا حصل اتفاق بيننا وبين شركة القوارير. ولكن الاتفاق لم يتم.»

وعند عودة جودت حيدر إلى بيروت عرف أن الكتاب كان مفتوحاً لأيّ مبلغ يطلبه لإتمام الصفقة وذلك لثقة المؤسسات المصرفية به.

يتابع شاعرنا ويقول:

«(في سنة ١٩٦٣ أجرت الحكومة اللبنانية مناقصة عامة لشراء /١٥٠/ بوسطة للنقل العام لمدينة بيروت.

تقدم إلى المناقصة شركات عدة منها شركة «المرسيدس» الألمانية والشركة الفرنسية «شوسون» وشركة روسية وشركة Mid East and Auto Trading Company التي كنت أديرها.

تراوحت أسعار العرض بين ٣٥٠٠٠ ليرة للشركة الروسية و٦٠٠٠٠ للمرسيدس، أما الشوسون فكان عرضها بـ ٥٩٠٠٠ ونيف.

أما عرضنا فكان ٤٢٠٠٠ ليرة.

بعد فتح الملفات أخبرني رئيس لجنة المناقصة هاتفياً أن سعر عرضنا هو الأدنى بعد الشركة الروسية التي استبعدت لعدم الكفاءة الميكانيكية للباصات، وقد رست المناقصة على شركتنا.

انتظرت النتائج الرسمية التي لم تظهر إلا بعد فترة.

أخيراً علمت أن المناقصة رست على شركة الشوسون الفرنسية، لأسباب لا أزال أجهلها.....!!

استقال جودت حيدر من Mid East and Auto Trading Company سنة ١٩٦٥ بعد أن ارتفع دخلها أضعافاً مضاعفة، وأصبحت في عداد الشركات المهمة، وقامت ببناء مبنى ضخماً مؤلفاً من أربعة وعشرين طابقاً في رأس بيروت.

أنته عروض عمل كثيرة غير أنه رفضها جميعاً ليتفرغ للأدب والشعر.

ب- مع مجرى الحياة

كانت للشاعر جولات في العمل السياسي، وأخرى في مجال الأعمال الحرّة، حالفه الحظ تارة، وحاربتة المقادير أخرى، لكنه بقي في كلا الأمرين متبوّناً المركز الذي يستحقه، محفوظ المكانة في قلوب المسؤولين والناس.

يتحدث جودت حيدر عن أعماله الزراعية بهدوء قائلاً:

«وأنا في شركة النفط العراقية ضمنت أراضي بيت العابد اثنتي عشرة سنة، وهي عشرة آلاف دونم في إيعات وستة آلاف دونم في مجدلون، وكامل قرى معربون وحام وشعبية وجميعها قرى في سهل البقاع.

كان لي ولشركائي وكلاء يتولون مهام وشؤون هذه القرى.

كنا نزرع العدس في أراضي إيعات وأسقيها من مياه مقنة لأنني كنت أملك أكثر أراضيها، فكنا ننتج كميات كبيرة من العدس، ونبيعها في فرنسا بأسعار جيدة.

على مدى السنين لقبت بملك العدس.»

من ينظر إلى الأعمال التي قام بها جودت حيدر يرى فيها تنوعاً يصل في بعض الأحيان إلى التناقض، غير أنه حين يدرس الموضوع بدقة ويعرف الرجل بما يحمل قلبه من حيوية، وفكره من ذكاء وتنظيم، يدرك أن كل هذه الأعمال المتناقضة في الظاهر متجانسة في العمق.

فمن ملك للعدس في لبنان إلى مزرعة للدجاج حاول أن تكون مجهزة ويعمل بها على أسس علمية رفيعة، ويدخل فيها كل ما يُستعمل في الدول الغربية المتطورة من مكننة وعلم وأساليب.

في أوائل الستينات جاء إلى لبنان وزير الاقتصاد الأمريكي السيد روزفلت ابن الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت ودعينا إلى حفل كوكتيل في فندق فينيسيا. وفي اليوم التالي إلى عشاء في منزل السفير الأمريكي في اليرزة.

بعد العشاء جلسنا أنا والسيد روزفلت منفردين، وعندها سألني عن مناقصة البوسطات للنقل العام لمدينة بيروت، والتي جرت في العام السابق.

تكلمنا كثيراً وأخبرته عن مجريات المناقصة وإعلامي شفهيّاً بأن المناقصة رست على شركة Mid East Auto & Trading company وكلاء الشفروليه التي كنت مديرها العام. غير أن النتيجة النهائية كانت لصالح الشركة الفرنسية لأسباب عدة لا زلت أجهل بعضها.»

في جلسة في دارته ببعلبك راح جودت حيدر يحدثني عن مشروع ردم البحر، وأثار انتباهي فأصغيت إليه يقول:

«التقيت صديقي المهندس توفيق شاهين سنة ١٩٤٤، وفكرنا في مشروع لم يكن في ذلك الوقت يخطر ببال أحد، وهو ردم البحر.. بعد تفكير ومناقشات حاولت مع صديقي توفيق نقل الفكرة إلى حيز التنفيذ، غير أننا اصطدمنا بعقبات كبرى أهمها الكلفة الكبيرة لهذا المشروع.

والآن بعد مرور نصف قرن ونيف نرى ما فكرت به آنذاك أصبح اليوم حقيقة، حيث ردم قسم من البحر محاذٍ لأوتوستراد الضبيّة. كما يردم قسم مقابل ساحة البرج ببيروت، ويردم قسم من البحر محاذٍ للمطار لإقامة مدرج جديد».

ومنها انتقل ليسرد لي قصة تأسيس مجمع لاستيراد الغنم والماعز والبقر، في مدينة القامشلي السورية، وإنشاء مسلخ كبير يتبع الطرق الحديثة في ذبح المواشي وتنظيفها. وكان من المقرر إرسالها في سيارات مبرّدة إلى لبنان على أن تباع بأسعار أقل بكثير من أسعار السوق، ومن الشروط التي توضع على اللحامين الذين يتعاونون مع المشروع ويشترى منهم لحومهم أن يضعوا اللحم في خزائن مقفلة من الزجاج ليصل اللحم إلى المستهلك نظيفاً مضموناً من الناحية الصحية، على أن تسلم اللحوم بأسعار أقل بكثير من السعر الحالي.

عرض المشروع على فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشارة الخوري فطلب منه توزيع ٤٨٪ حصة كأسهم لغير مؤسسي الشركة.

بعد المناقشة تم الإتفاق بحيث يبقى للمؤسسين ٥٢ ٪ من أسهم الشركة.

إطمأنَّ جودت حيدر إلى أن المشروع سيتم بنجاح، لكن هذا الاطمئنان لم يدم طويلاً فقال:

«وضعت المخططات للمشروع، ورسمت النماذج للآلات اللازمة. وبعد انتهاء التصاميم والمخططات أخذتها وأرسلتها إلى صديقي السيد فرنسيس كتانة الذي كانت تربطني به صداقة متينة، والذي ترك لبنان ليستقر في أمريكا، وطلبت منه تأمين المعدات من شركة كرايزلر التي كان يملك جزءاً منها، فأعجب بالفكرة ووافق على الطلب، وأخبرني ببدء العمل بصنع تلك الآلات.

عندها قام صديقي المهندس توفيق شاهين بوضع تصاميم المسلخ، وطلبنا رخصة لهذا العمل.

بعد فترة طلبني رئيس الجمهورية إلى مكتبه بحضور صديقي ميشال شيحا. افتتح فخامته الحديث قائلاً: سيكون لكم ٤٤٪ من الشركة و ٥٦٪ ستكون اسهماً حرّة. وأضاف قائلاً: سهم أو سهمين زيادة أو نقصاناً غير مهم.

عند ذلك قلت لفخامته: أنا لا أوافق على رغبتك وطلبك يا فخامة الرئيس، لأنني هذا الطلب يسلبني حقي في إدارة الشركة، وأنا الوحيد الذي يمكنه إدارتها، لأنني شغلت عدة سنوات منصب مدير شركة النفط العراقية في دير الزور، وأعرف طبيعة البلد والناس، وأنا الذي خططت ورسمت لهذه الشركة وأعرف كل ما يلزمها وكيفية العمل فيها والكد والجهد الذي يجب أن يبذل لتبقى الشركة كما خطط لها ووطنية ونظيفة لا يعتربها غش.

وعلى كل حال سيكون في الشركة مجلس إدارة من حقه مراقبة أحوال الشركة، ومعرفة الشاردة والواردة فيها.

قال: لا لا جودت بك. أنت كريم وشهم، ومتأكد من أنك ستسهل الأمور وتوافق على طلبتي.

لكنني لم أوافق وأخبرت صديقي فرنسيس كتنانة بالأمر، وطلبت منه بيع المعدات والآلات التي طلبت منه صنعها إذا أمكنه ذلك، وإخباري إذا كانت هناك خسارة لأتحمّلها.

وجاءني الجواب السار من السيد كتنانة أن معدات بالمواصفات ذاتها كانت قد طلبت إلى المكسيك وبسعر أفضل، وهكذا انتهى مشروع يحتاجه الوطن، وأرجو أن يتحقق على أيدي أحد شبابنا.»

تابع جودت حيدر حديثه عن أعماله قائلاً:

«تركت شركة النفط العراقية سنة ١٩٤٠ لمدة من الزمن بعد اغتيال أخي محمد رستم حيدر وزير المالية العراقية آنذاك، وعدت إلى بعلبك.

وفي أوائل الأربعينات زارني في دارتي في بعلبك أصدقائي السادة إميل البستاني، عبدالله خوري، شكري الشماس، والمهندس فواز. وكنا زملاء في شركة نفط العراق.

بعد حديث طويل حول الماضي والحاضر والمستقبل، اتفقنا على إنشاء شركة تعهدات (CAT) على أن يكون لكل واحد منا ٢٠٪ من الشركة.



مع إميل البستاني

بعد إنشاء الشركة جاءني السيد إميل البستاني ليخبرني أنه يوجد في عاليه مركز للجيش الإنكليزي، ولديهم تعهد طرق لخراج قرية رأس بعلبك، ويمكن أن نحصل على هذا التعهد إذا كان أحدنا على معرفة من أحد الضباط الإنكليز الذين يملكون زمام الأمور.

اجتمعت بالميجر بافيت الذي كان يتردد على بعلبك لمقابلة قائد القوات الإنكليزية في البقاع الجنرال Freidburg الذي كان يقطن في أحد بيوتني في بعلبك. وطلبت منه مساعدتنا في الحصول على هذا التعهد، وفعلاً ذهب إلى دائرة المناقصات في عاليه، وفي اليوم التالي تم تبليغنا أن التعهد قد رسا على شركتنا الكات.»

قمنا بتنفيذ الالتزام الذي عاد على الشركة بربح قدره / ٤٤٠٠٠ ليرة لبنانية، وتبعته عدة تعهدات رابحة غير أنني طلبت انسحابي من الشركة للأسباب الآتية.

كنت متوجهاً يوماً إلى شركة الكات وإذا بي ألتقي بأخ زوجتي المحامي يوسف مخير بك حيدر.

قال: لماذا تعمل بالتعهدات أما تسمع الأخبار؟ ألا تقرأ الصحف؟ إن الألمان قد أصبحوا على قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى هذا البلد وستنقلب الموازين، فما عليك إلا أن تجمد مشاريعك، وتحرص ألا تسرف في صرف الأموال.

لم آبه لكلام يوسف مخير وتوجهت إلى بعلبك حيث دارتي، والتقيت بالجنرال الاسترالي Freidburg. كان متجهم الوجه، فسألته عن السبب، أجاب: «تبلغت بالذهاب إلى العلمين لأن الألمان تقدموا على تلك الجبهة والحلفاء يخلون الإسكندرية.»

فكرت في كلامه، طويلاً، وذهبت إلى الشركة في بيروت حيث طلبت من الشركاء قبول انسحابي لأسباب خاصة غير مستجيب لطلبهم بالاستمرار.

تركت الشركة وعدت إلى بعلبك لأعمل في الزراعة، ولأزاول الكتابة والشعر والقراءة، مفكراً بإنشاء مصنع للورق.

بدأت الدراسة.. من أين تغذي المصنع بالمواد؟ تبين لي أن في صحراء تونس نوعاً من الشجر جيداً لصناعة الورق، كما توجد في لبنان أشجار يمكن الاستفادة منها أيضاً. وإذا ما دعت الحاجة والضرورة إلى مزيد من المواد الأولية يمكننا شرائها من أوروبا وكندا.

نضجت الفكرة، وظننت أن الأمر قد استقام، غير أن الظروف كانت لي بالمرصاد، فقد رفضت الحكومة الموافقة على المشروع، فعدت لأفكر ببناء مصنع للسكر.

في مزرعتي التي تبلغ مساحتها ١٧٧٢ دونماً، وفيها ستة آبار من المياه يضخ كل بئر ما يقارب ٤ إنش فيها عدة بيوت ومزرعة دجاج.

زاد في قناعاتي بإقامة معمل للسكر على هذه المزرعة كون السكة الحديدية من بيروت إلى حلب تمر من الجانب الغربي منها، مما يسهل نقل البضائع منها وإليها.

طلبت رخصة للبناء، وحصلت عليها بسرعة. بدأت أدرس أسعار معامل السكر في شتى أنحاء العالم فوجدت الأسعار باهظة في دول أوروبا الغربية، وأن أفضل الأسعار لدى ألمانيا الشرقية. راجعت مكتب ممثلي ألمانيا الشرقية في بيروت، ونتج عن المباحثات مجيء ثلاثة مهندسين من ألمانيا الشرقية ليدرسوا الأمر على الأرض، ويرسموا الخطط لبناء المصنع اللائق.

أكمل المهندسون دراساتهم وعادوا إلى بلادهم مزودين بكل ما يحتاجه المشروع من دراسة وتصميم وخرائط، ودراسة أسعار، والأسواق التي يمكن التعامل معها. بعد فترة وجيزة أرسلوا الدراسة النهائية للمصنع.

بناءً عليه سافرت إلى فرانكفورت ومنها إلى برلين الغربية حيث هبطت في المطار الذي بناه هتلر. خرجت من المطار ومضيت إلى الجدار الفاصل بين برلين الغربية وبرلين الشرقية. دخلت إلى دوائر الدولة، الأمن العام. الجمرك وفي يدي حقيبة ثيابي ثم خرجت لأجد نفسي في برلين الشرقية.

طلبت سيارة تاكسي فلم أجد، فاضطرت أن أحمل حقيتي وأمشي في الشارع لا أدري إلى أين أنا ماضٍ.. ليس لدي أية معلومات إلا أنني أحمل في جيبتي ورقة تحدد المكان الذي أقصده، وهو فندق برليني.

أخيراً وجدت شرطياً في الشارع حاولت سؤاله فتبين لي أنه لا يعرف من لغات العالم إلا لغته - اللغة الألمانية. كلمته بالإشارة، وشرحت له مدى تعبي.

حمدت الله أنه فهم بلغة الإشارة، وهزّ لي رأسه.

مرت سيارة صغيرة يقودها شاب.. فطلب منه الشرطي الوقوف ودار بينهما حديث دام دقائق فتح بعدها صاحب السيارة باب سيارته مشيراً إليّ بالركوب.

ركبت إلى جانبه، فأوصلني إلى الفندق ومضى.

طلبت غرفة فأجابوني بأنهم لا يستطيعون تأمينها إلا إذا أحضرت ورقة تسمح بذلك من المأمور المسؤول في «السنتر». طلبت منهم أن يؤمنوا لي سيارة أجرة ويشترطوا على السائق البقاء بانتظاري لأعود معه إلى الفندق.

وصلت إلى «السنتر»، وطرقت باب المأمور المكلف بالأمر فلم أسمع جواباً. فتحت الباب فلم أجد أحداً، خرجت لأسأل عن المأمور فأجابوني بأنه غائب. ولكن بإمكانهم الطلب من إدارة الفندق تأمين الغرفة هاتفياً وإخبارهم بغياب المأمور.

رجعت إلى الفندق.. أخبرتهم بالأمر. وكان الجواب: نعتذر.. لا يمكننا إعطاءك غرفة إلا بورقة رسمية موقعة من المأمور المختص.

أخيراً اتصلت بالشركة فلم يمض وقت طويل حتى حضر المهندسون الثلاثة ممثلو الشركة الذين أتوا إلى بيروت، واصطحبوني إلى دار الضيافة الحكومية حيث بقيت اثني عشر يوماً ضيفاً على الدولة.

كانوا يدعونني كل يوم إلى مطعم لتناول وجبة العشاء، مصطحبين معهم بعض الأشخاص إكراماً لي، ولتأمين وسائل الراحة والتسلية. كما كانوا يرافقونني خلال النهار ويطلقونني على معالم برلين الشرقية. وعلى أهم ما فيها.

أثار انتباهي قصر الضيافة الذي استضافوني فيه حيث كان يطلّ على ساحة كبيرة في وسطها تلّ من التراب، مما أثار دهشتي وعجبي.. ساحة مهملة إلا تلك الطرقات التي

تخطيط بها من كل جانب. ما سبب إهمال هذه الساحة، ولم هذه التلة الترايبية في وسطها، وأمام قصر الضيافة؟

سألت من في القصر عن هذه الساحة، وسبب إهمالها.. وكان الجواب: إن هتلر على أغلب الظن قد انتحر في هذا المكان، وبقي جسده تحت هذا التراب الذي هو بقايا بنيان الرايخستاغ، الذي كان يقيم فيه، ويصدر منه أوامره إلى قواته، فدكته طائرات الحلفاء بقذائفها الكبيرة والكثيرة.

بعد ثلاثة أيام حدّد لي الاجتماع في اليوم الرابع وفي الساعة الرابعة بعد الظهر، وأخبروني أن طاولة البحث والمناقشات مؤلفة من اثني عشر شخصاً ألمانياً كفريق مقابل الفريق الثاني وهو أنا. وسيتطرق البحث في الاجتماع إلى الأسعار، وما يخص الشركة من أمور، وما طلباتي، ووضع الأطر النهائية لإقامة المصنع.

في الساعة الرابعة من اليوم التالي جلسنا إلى طاولة مستطيلة، وطلبوا مني أن أبدأ الكلام بتحديد طلباتي وما أريد بدقة.

بدأت الكلام سائلاً المهندسين الثلاثة الذين زاروا لبنان لرسم خطط بناء المصنع: إذا كانوا قد وجدوا في تلك المنطقة الواسعة من سهل البقاع مصانع أو معامل تستطيع أن تلبي حاجات الشعب؟ وجاء الجواب أنها خالية من المصانع والمعامل، ونظراً لسعتها وطبيعتها الجغرافية فهي توافق لقيام مصانع عديدة، وأن الموارد الزراعية ضئيلة والصناعة معدومة تماماً، وأن هذا المعمل الذي يعمل السيد حيدر على تأسيسه في تلك المنطقة يمكنه مساعدة هؤلاء الناس ومدّهم بالقوة وتحسين معيشتهم.

أحسست أنني أصبت الهدف في سؤالي، وأمسكت بطرف الخيط الذي أريده، فطرح السؤال الثاني: أرجو الإيضاح.. هل الاشتراكية برأيكم خاصة بألمانيا الشرقية فحسب، أم أنها نظام عالمي يجب أن يستفيد منه بنو الإنسان أينما وجدوا، وفي أي زمن؟

أجاب رئيس الشركة بحماس: لا؛ إن الاشتراكية للجميع، وتعمل من أجل الإنسان في أقطار الدنيا.

وصلت إلى ما أنشده، وقلت: لقد أثلجتم صدري بهذه الإجابات التي تنم عن اشتراكية حقّة.

والآن أطلب منكم وكلّي أملٌ بتلبية طلبي أن تقدموا لنا هذا المعمل بسعر الكلفة، وأعدكم بأني حين أبني هذا المصنع سأضع لوحة مكتوباً عليها بخط عريض يراه الناس ويقرأونه «إن ألمانيا الاشتراكية أهّدت هذا المعمل بسعر الكلفة للشعب اللبناني.» فأجابني كبيرهم:

نحن الموجودين هنا لا يمكننا إعطاء قرار نهائيّ في هذا الموضوع، لأنه من صلاحيات مجلس الإدارة الذي يجتمع ويبتّ في الأمر. انتهى الاجتماع لأدعى بعد ثلاثة أيام إلى اجتماع آخر.

اجتمعنا كما في المرة السابقة وفي الغرفة ذاتها، وبدأ الحديث كبير المفاوضين قائلاً: برهاناً على أن الاشتراكية للجميع وليست حكراً على بلد دون آخر، ولا شعب دون شعب، ومنفعتها يجب أن تعمّ المعمورة كلها لا بلاد الاشتراكية وحدها، وإجابة لطلبك الذي أخذ باهتمام زائد، قررت إدارة الشركة إعطاءك المصنع بسعر الكلفة تماماً، وهي أربعة ملايين ونصف دولار يدفع منها سلفاً ٥٪ فقط، ويقسط المبلغ الباقي على عشر سنوات، ويعتبر مجلس الإدارة هذه العملية عربون محبة للطبقة العاملة في بلادكم.

شكرتهم وطلبت منهم إبلاغ شكري وامتناني واحترامي لمجلس الإدارة لتجاوبه مع طلبي.

عدت إلى لبنان وكانت لي جلسة مع صديقي الشيخ بطرس الخوري رئيس بنك التسليف الزراعي أخبرته فيها بما جرى معي في ألمانيا.

والجدير بالذكر أن المهندسين أشاروا بدراساتهم إلى أمرين: أن صناعة السكر من الشمندر صناعة خاسرة، وأن تعويض الخسارة يتم بتبييض السكر الأسمر المستورد وتسويقه محلياً وخارجياً.

وبعد عودتي طلب مني وزير الاقتصاد مقابلته، وأثناء المقابلة قال لي: إننا نرسل كميات كبيرة من الشمندر السكري إلى مصنع حمص في سوريا، لاستخراج السكر، وأحيطك علماً بأن رئيس الجمهورية الأستاذ شارل الحلو بحث الطلبات المقدمة إليه لإنشاء مصانع للسكر في لبنان، وطلبك لمقابلته غداً الساعة العاشرة صباحاً.

ذهبت إلى بيت الدين المقر الصيفي لرئاسة الجمهورية وقابلت فخامته، وبعد حديث وديّ شرحت لفخامته الأمر بالتفصيل، فطلب مني تقديم كتاب خطي بهذا الخصوص ليتسنى له النظر في الأمر، وأضاف قائلاً: يمكنك مراجعة دولة رئيس الوزراء الأستاذ رشيد كرامي والاتفاق معه على جميع التفاصيل.

كانت تربطني بدولة رئيس الحكومة الأستاذ رشيد كرامي صداقة شخصية ذات جذور قوية تعود إلى صداقتي بأبيه المرحوم دولة الرئيس عبد الحميد كرامي الذي اعتبره من أوائل الأصدقاء، ومن أهم الشخصيات اللبنانية.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فإنه عند تأليف حكومة أحمد الداعوق سنة ١٩٤١ كنت عند شقيقه الأكبر السيد عمر الداعوق وهو جاري في رأس بيروت، نتحدث في أمور كثيرة، وإذا بعبد الحميد كرامي يدخل علينا، ويقول: قبل السلام، يا عمر إن أخاك أحمد سيؤلف الوزارة. أطلب منك وبالحاح أن يكون جودت بك حيدر أحد أعضائها لأن وجوده يحقق رغبتني ورغبة الطرابلسيين، وأكمل الحديث عن الوطن والأمة.

كنت ماراً أمام مكتب المندوب السامي في السراي الكبير، ناداني من الداخل المسيو تيسو سكرتير المندوب السامي، والذي كان موظفاً في شركة النفط العراقية في دير الزور يوم كنت مدير التوظيف والعلاقات العامة فيها.

ناداني ليطلعني على أسماء الوزراء الذين شكلت منهم الحكومة برئاسة السيد أحمد الداعوق، فوجدت أن وزارة النافعة قد أسندت إليّ.

بعد أيام، وقبل أن ترى الوزارة النور علمت أن اسمي قد شطب لأسباب أجهلها.

وطلب المندوب السامي من الوزير السابق السيد أحمد الحسيني استلام وزارة النافعة التي كان يشغلها سابقاً فرفض، لإتاحة الفرصة لي، لكن المندوبية الفرنسية أصرت على توزيعه، فأصر على وزارة الداخلية، وكانت له.

لذلك عندما قال لي فخامة رئيس الجمهورية شارل الحلو يمكنك مراجعة رشيد أفندي كرامي رئيس الحكومة والاتفاق معه على التفاصيل اعتبرت الأمر قد وصل إلى غايته.

ذهبت على الفور، معتمداً على الصداقة الوطيدة بيني وبين آل كرامي. طرقت الباب كعادتي، وتحدثنا طويلاً عن موضوع المصنع، أخيراً قلت له: أحتاج إلى عشرة آلاف طن سكر أسمر سنوياً لتبييضه، وبذلك نكون قادرين على دفع أجور العمال، وفي منأى عن الخسارة الناتجة عن الفرق بين سعر السكر في السوق المحلي وكلفة السكر المحصل من الشمندر فأجاب: لا يمكنني إعطاءك السكر الخام لأن الدولة متعاقدة مع أناس آخرين على تبيض السكر في لبنان.

قلت له: كان لبنان يستهلك ٣٥ ألف طن عندما وقعتم على عقد تبيض السكر، واليوم يستهلك ٨٥ ألف طن، لذلك يمكن إعطائي عشرة آلاف طن من هذه الزيادة على العقد والتي تقدر بخمسين ألف طن. وبذلك أستطيع مباشرة العمل في المصنع.

أجابني: غير ممكن.

وهنا كانت نهاية معمل السكر.

يظهر أن منطقة بعلبك الهرمل كانت وما تزال محرومة من عطف الدولة في أيّ عهد من عهودها.

حرمت من عطف الدولة زمن الانتداب الفرنسي، ولما خرج الفرنسيون تنفس الناس الصعداء، وظنوا أن الحكومة الوطنية ستفتح المجال واسعاً أمام العمل والعمال وتحسين الاقتصاد ليعيش أبناء الوطن من كل الفئات ومن كل المناطق عيشاً كريماً. بيد أن ما كان يأمله الناس غير ما حدث، فلم يستطع الحكم الوطني رغم وجود الكثير من

أصحاب الضمائر الحية والنوايا الحسنة في أعلى درجات المسؤولية أن يسير بالبلاد إلى الأمام، وبقيت الحال كما هي.

الحكم في هذه البلاد وللأسف الشديد للمتنفذين، فالانتخابات النيابية تزور ويصل إلى المجلس النيابي من يوافق الزعماء على أهوائهم.»

ثم يمضي جودت حيدر يحدثني والأسف بادٍ على وجهه عن مصنع أنابيب الـ Fiber glass فلخصها بما يأتي:

«ذهبت إلى إنكلترا وألمانيا الغربية وفرنسا وهولاندا والدانمارك، باحثاً عن شراء مصنع لصناعة أنابيب الـ Fiber glass محاولاً إيجاد الشروط المناسبة والأسعار الجيدة.

وجدت أن الدانمارك متقدمة جداً، ويمكن اعتبارها الدولة الأولى في هذا المضمار.

اجتمعت فيها بالمهندس صاحب هذا الاختراع، وربطتني به صداقة، فشرح لي مميزات هذه الأنابيب، وحدد لي موعداً لزيارة المصنع ليريني كيفية صنعها.

ذهبت إلى المعمل، وهناك شاهدت فيلماً عن كيفية صنع الأنابيب. ومما أثار انتباهي أنه بإمكانهم صنع أنابيب بخط مستقيم قطعة واحدة مهما بلغ طولها.

إضافة إلى صناعة الأنابيب كان المعمل يصنع حجارة حمراء شبيهة بحجارة شيدت بها أبنية في الهند منذ مئات السنين وما زالت حتى يومنا هذا صامدة تقاوم عوامل الطبيعة.

حينما وجدت أن سعر معمل الأنابيب في الدانمارك مرتفع جداً، توجهت إلى فرنسا.

وبعد دراساتي للموضوع ولأنواع الأنابيب وإتقان الصنع، بحثت مع الشركة الفرنسية في الأسعار، وبين أخذ وردّ توصلنا إلى سعر مقبول، وهو أربعة ملايين فرنك يدفع منها ٥٪ فوراً والباقي يقسط على عشر سنوات بفائدة ٥٪.

عدت إلى لبنان لأبحث مع شريكه المهندس جورج فاخوري، من سكان المنصورية، في شراء المعمل، والبناء الذي يجب تشييده. وبعد أن تم اتفاقنا أرسلت

برقية إلى الشركة في باريس أبلغها موافقتنا على السعر الذي توصلنا إليه. وجاءني الجواب بوجوب ذهابي إلى ملهاوس/ الألزاس حيث تتم صناعة الآلات.

في هذا الوقت برزت العقبات بشكل متسارع، حيث بدأت الحرب الأهلية في لبنان، فأجبرتني على التريث في إجابة طلب الشركة الفرنسية، وأرسلت بريقة أعلمهم فيها أن الحوادث التي لم تتضح معالمها بعد توجب عليّ التريث قليلاً، وأني سألبي طلبهم بالذهاب إلى فرنسا حين يستتب الأمر في لبنان.

بقيت في بيروت ثم ذهبت إلى بعلبك منتظراً توقف تلك الحرب البشعة. وذهب الأمل.»

سنة ١٩٤٣ خاض معركة الانتخابات النيابية في لائحة مؤلفة من جودت حيدر، موسى نمور، ألفرد سكاف، فضل الله حمادة وغيرهم، ولم يحالفهم الحظ وخسروا بفارق بسيط لأسباب عدة منها تدخل المستشار الفرنسي De Salin لصالح اللائحة المناوئة.



أسس الجبهة الشعبية سنة ١٩٤٢-١٩٤٧ وهذه الصورة تضم مؤسسها جودت حيدر وبعض الأعضاء منهم شفيق الطقش «أبو عقيد»، «أبو أكرم» مرهج الجمال وعثمان الشلحه وغيرهم

عاد جودت حيدر وبعد استقالته من شركة نفط العراق سنة ١٩٦٠ ليخوض الانتخابات تلك السنة في لائحة مؤلفة من: جودت حيدر، د. مصطفى الرفاعي، الصحفي رياض طه، السادة مرشد حبشي، حبيب المطران، نايف ملحم قاسم، مقابل لائحة رئيس المجلس النيابي آنذاك صبري حمادة.

يقول جودت حيدر:

«بعد ثلاثة أيام ظهرت النتائج، وكما يحدث غالباً من تدخلات في نتائج الانتخابات في لبنان فوجئت بعدم فوزي والصحفي رياض طه، وفوز بقية لائحتنا، وبسؤالي رئيس الجمهورية آنذاك اللواء فؤاد شهاب، قال لي ما معناه: أنت فزت في الانتخابات غير أن فلاناً أصبح متقدماً في السن وله فضل على الدولة، وحُبس في راشيا، لذلك كانت له الأفضلية.

قلت: على حسابي؟!

أجاب: من هلق ورايح أنت.

وجرت نقاشات طويلة وطالبت بحقي الواضح الصريح لكن من دون جدوى.

فذلك منطق لم أدرك كنهه ولم أقنع به.»

بدأ التحضير لانتخابات ١٩٦٤، ولكن جودت حيدر لم يتقدم في هذه الدورة لأسباب يذكرها قائلاً:

«في انتخابات سنة ١٩٦٤ أرسل لي رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب معالي الوزير علي بزي وكانت تربطني به رحمه الله صداقة متينة طالباً مني أن يكون فلان ضمن اللائحة التي كنت على وشك تشكيلها، بناء لذلك لم أخض المعركة في ذلك العام.»

ت- نشاطه الأدبي

● انسياب الشعر من قلمه

يتحدث جودت حيدر عن تفجر الشعر لديه فيقول:

«استهواني الشعر وأنا تلميذ في الجامعة الأميركية وكنت حينها ألتقي بعض شعراء وأدباء ذلك الوقت أمثال معروف الرصافي، فوزي معلوف وماري عجمي.



من اليمين-الشاعر فوزي معلوف-صلاح اللبابيدي-ماري عجمي-يوسف يزبك-معروف الرصافي-ندره ألوف-حبيب زحلاوي-جودة حيدر اخذ هذا الرسم في قصر الصنوبر ١٩٢٤ بيروت

وأثناء دراستي في الولايات المتحدة بدأت أذوق الشعر على يد أستاذ الأدب الإنكليزي في جامعة AM & C كوليج ستيشن في تكساس، الذي كان ضليعاً في قراءة الشعر وتفسيره مما حرك مشاعري نحو هذا النوع من الأدب.

وفي جامعة دانتون، تكساس بدأت محاولتي في كتابة الشعر باللغة الإنكليزية أثناء الدراسة حيث كانت أستاذة الأدب مولعة بالشعر، وبشعر الشاعر الأيرلندي Robert Burns الذي ملك عليها حواسها حتى كانت حين تقرأ لنا قصائد من شعره

يظهر عليها التأثير. ولا تكفّ عن قراءة شعره وعن تقرّيطه، والثناء على عبقريته وشاعريته.

كتبت لها شعراً، وعصرت فيه كل ما كان لديّ من إمكانيات آملاً أن يلقى موافقتها. وقلت: «مس كيلفند» هذه أول تجربة لي في الشعر، أرجو أن تقرئها بدقة وتعطيني رأيك.

قرأت الأبيات على مهل، وفي الحال قالت لزملائي في الصف: لقد ولد شاعر، اسمعوا، هذا الشعر الذي كتبه جو حيدر وكانوا ينادونني بهذا الاسم بدلاً من جودت وما أن انتهت من قراءة الأبيات بلهجتها الحلوة حتى صفق الطلبة تصفيقاً حاداً.

مع الأسف، لم أحفظ هذا الشعر ولم أحافظ عليه.. كل ما بقي منه في ذاكرتي أربعة أبيات لا غير، وهي:

Sweet be not proud of thine fair and liquid eyes
Which sparkle like a twin of stars in their skies
The sun goes down then he doth rise
So forget not yet.....

وقد أرسلت هذا الشعر إلى صديقي الأديب إبراهيم نجيب حيدر في بعلبك، الذي ترجم القصيدة إلى اللغة العربية ونشرها في جريدة الإيضاحي، لصاحبها الأديب لطفي بك حيدر سنة ١٩٢٦.

أسدل النسيان الستار على هذا الشعر سنين، غير أنني بعد عودتي من أمريكا وفي سنة ١٩٧٠ جاء إبراهيم نجيب حيدر من بغداد إلى بعلبك، وزفّ إليّ بشريّ كان لها وقع في نفسي، حيث أخبرني أن ترجمته لشعري الذي أرسلته له سنة ١٩٢٦، والمنشورة في «الإيضاحي» موجودة ويمكنني أخذ نسخة عنها.

سررت كثيراً ومضيت إلى منزل الأديب الصديق لطفي حيدر، وتفضلت ابنته عزة بإعطائي نسخة عن القصيدة وهي ما تزال موجودة لديّ.

نص مقال الأديب ابراهيم نجيب حيدر الذي يتضمن تعريب القصيدة:

«الروح العربية في الأدب الإنكليزي»

ما عرفت السيد جودت رستم حيدر شاعراً قبل الآن. وما كنت أقرأ في عينيه تلك النظرات. نظرات الشعراء والخياليين، فقد كنت وإياه في مدرسة واحدة أصدق الأصدقاء، وقد درسته وعرفت ما ينطوي عليه فألفيته فتى أقرب إلى الحقيقة منه إلى الخيال. فما الذي غير نفسه يا ترى؟ والظاهر أن الغربة ومفارقة الأوطان تقلب نفس المرء رأساً على عقب فتجعل منه رجلاً غير ما كان يحب ويرغب. وهذا ما حدث لصديقي جودت فقد قلبت الغرب أطباعه وأمياله وصيرته شاعراً ليس بالعربية بل بالإنكليزية، وكأنني به لم يصل إلى الحقيقة من طريق الحقيقة فأصبح يفتش عنها وراء سجون الخيال جاعلاً الشعر مطيته للوصول إليها.

سافر هذا الشاب منذ سنتين إلى أميركا بعدما نال شهادة الإعدادية من الجامعة الأميركية في بيروت. وما مضى عليه سنة هناك حتى بارز أقرانه الأميركيان في لغتهم ونال الجائزة الأولى في المباراة الشعرية التي أقيمت في مدينة (دنتون) من ولاية تكساس، بقصيدتين ألقاهما على مسامع الألوف من الأميركيين، وها إني عربت إحدى هاتين القصيدتين وطبعاً فإن الأصل أجود من التعريب:

إذن فلا تنسي

ما ألد تلك الأحلام المعطرة بالزهور وما
أبدع تلك الأفكار الصافية كالألماس كنت
يا ملاكي آنئذٍ شريكتي الحنون في كل هذه
إذن فلا تنسي

...

حببتي لا تفترى عينيك الصافيتين
المتلألئتين كتوأمي نجم في كبد السماء فان الشمس

تغرب ثم تشرق

إذن فلا تنسي

لقد سرى حبك في عروقي سماً فسمم جسمي
وقادني إلى الخطيئة واضطرنني أن أنفرد عن العالم
والتجئ إلى وحدتي وآلامي
إذن فلا تنسي

فكرت فيك مراراً قرب الأقحوان المزهر
وردت تذكاراتي فإذا بي معها زاهل وأرسلت
أشواقي إليك مع الأشعار المختفية
إذن فلا تنسي

...

وجلس في حديقة الحب جنب الورود
فإذا بالقمر برز وإذا بالليل انتصف وإذا بي غارق
في التفكير فيك وفي حظي
إذن فلا تنسي

...

ها (باخوس) جالس بين الزهور في الواد وها
الكأس وقع من يده، اسمعي قصف الرعود،
لقد فتحت أبواب السماء وأبواب الجحيم
إذن فلا تنسي

...

عندما تنزل رحمة الله علي، وأصبح وحدي في
أرض لم يطأ ابن آدم بين الملائكة ليعي قلبك
الحنون دعينا نهول يداً بيد
لنعش معاً لننسى

...

يكمل شاعرنا حديثه فيقول:

«لم أنقطع عن الشعر منذ بدأته في تكساس كما ذكرت آنفاً، وإن كانت ظروف العمل الجاد والمضني تضيق من مساحة الشعر، فأشعر بأنني مقصّر في حق الأدب والشعر اللذين خلقت لهما.

جاءت سنة ١٩٦٠ وأحسست بأنه يجب أن أتفرغ للشعر فتركت وظيفتي في شركة النفط العراقية، وكان مقدراً لي أن أعمل بعض الأعمال الوظيفية بعد ذلك، وأن أحاول الدخول في معترك السياسة، لكنني عدت أدراجي إلى الشعر والأدب.

مضت أيام طويلة لم أنظم الشعر إلا بالإنكليزية حتى توفي ابني بسام فتفجرت عاطفتي حزناً بشعرٍ رثيت فيه ولدي الوحيد باللغة العربية.

منذ ذلك الحين أي منذ سنة ١٩٨٤ سارت اللغتان الإنكليزية والعربية جنباً إلى جنب لتحتويا شعري، حيناً ينساب بالإنكليزية، وحيناً بلغة الضاد، وإن كنت لا أنكر أن الإنكليزية قد أسلست لي قيادها، فكانت صولاتي الشعرية وجولاتي على صهواتها أكثر.

طاوعتني الإنكليزية، وأعجبت بها، وأحببت اللغة العربية، وكانت أمنيته وما تزال أن تطاوعني كما طاوعتني الإنكليزية.

بعد أن مارست الشعر بلغة الضاد وبدأت تسلس لي قيادها آثرت الإكثار من الشعر العربي، فاطلعت على دواوين الشعراء العرب، ووجدت عندهم شعراً رائعاً على مرّ العصور، وأيقنت أن اللغة العربية من أعظم لغات العالم، بل أعظمها على الإطلاق لو تسنى لها أبناء يعنون بها كما عني الإنكليز والفرنسيون والألمان وغيرهم من الشعوب بلغاتهم.

لكن للأسف الشديد تقهقر الشعب العربي وسار إلى الوراء حقبةً من الزمن طويلة، فلم يستطع أن يقوم بأعباء لغته، ولم يأخذ بيدها خطوة واحدة إلى الأمام فبقيت لغتنا اليوم لغة القرن الخامس والسادس الميلادي، لم تنقح ولم تهذب.

لقد كانت اللغة في فترات من التاريخ موافقة لأبنائها تؤدي كل ما يريدون وتحيط بكل ما يحتاجون ولكنها توقفت وسار الزمن، حتى أصبحنا اليوم ننظم ونقول الشعر بلغة توقفت أكثر من اثني عشر قرناً من الزمن، لم نحاول تطويرها.. توقفت لغة الشعر، والنثر والمعاجم وسارت الأيام، فضاق بعضنا ذرعاً بلغته، وأكثر من انتقادها، والحقيقة أن العيب ليس في هذه اللغة الحية، وإنما في أبنائها الذين تقاعست همهم وكَلّت عزائمهم، ولم يبق لهم من الوقوف إلى جانب لغتهم إلا انتقادها وذكر ما اعتبروه ضعفاً فيها..

لو نظر أبناء العروبة إلى شعوب العالم وما قدمت للغاتها، والخدمات التي يسدون بها إلى تلك اللغات في كل يوم. لو نظروا مثلاً إلى الإنكليز والأميركيين

ودراساتهم وتعبهم في سبيل تطوير لغتهم لتوافق الزمن وتسائر التقدم، واهتمامهم بشعرائهم وأدبائهم وتخليدهم بعد وفاتهم لذهلوا من إقدام شعوب العالم، وتخاذلنا وضعفنا.

مثالاً في سنة ١٩٩٢ ذهبت إلى إنكلترا بمناسبة تخرج حفيدي جودت بسام حيدر من جامعة أكسفورد، وحفيدتي جنين من جامعة كنت ويمت شطر باكسهل، حيث بيت مارتل ماكينزي أرملة ولدي الوحيد المرحوم بسام.

وشاءت الظروف أن يكون حفيدي جودت في فرصة مما أتاح له أن يرافقني في رحلة واسعة شملت معظم أرجاء البلاد في جنوب إنكلترا.

في يوم من أيام هذه الرحلة كنا نتمشى على مروج «ألبيون هلز»، وبصحبتنا زميل جودي في الدراسة بجامعة أكسفورد وهو من جزر الكاريبي، قال: إن وليم الفاتح «William the Conqueror» مرّ بجيوشه من هنا واحتلّ إنكلترا بقوة السلاح.

قلت له: الفكر أقوى، وهو صانع السلاح.

لذلك، فأني سأحتل أنا إنكلترا الآن وبالفكر. ثم كتبت شعراً واحتللتها.

Today I Am Over Ninety Years Old

Without delay I conquered Great Britain

Today I am over ninety years old
Proud of my youth like great William I stood
Arrayed my thoughts in battalions to hold
Against the whole world by a spear of wood

Without delay I conquered Great Britain
Adding to my name more glory and fame
Plus the excellence of what was written
By Shakespeare Milton and others who came

Kipling Tennyson Byron and Shelly
Keats Arnold poets of a matchless fame
Poets who stand time pillars of po'try
Calliope hence resigned and hushed when they came

Oh how oft I joyed by fancy and sighed
For the dreams I dreamt within dreams dreams died.

بعدها ذهبنا إلى بيت الشاعر الشهير كيبلنغ Rudyard Kipling الذي استملكته الحكومة الإنكليزية وسمحت بزيارته لكل من أراد مقابل مبلغ رمزي، وعند وصولنا سمح لنا بالدخول مجَّاناً عندما علموا من مارتل بأنني شاعر لبناني.

دخلنا إلى البيت فرأينا محتوياته كافة لم تزل كما كانت عليه وتدل على ما كان يفعل في حياته.

مثلاً كرسي عليه تاريخ ١٨٦٤.

في المطبخ أوانٍ كان يستعملها، وفي غرفة نومه سريره.

وفي اليوم الثاني، ذهبنا إلى بلدة شكسبير ودخلنا الكنيسة التي يوجد فيها قبره حيث كان يتوافد المئات من السياح يومياً لزيارة هذا المزار الأدبي.

إذاً الشعراء في بلاد الغرب لهم مكانتهم العالية بعد وفاتهم، وهم ثروة معنوية ومادية لبلادهم.

كم تمنيت أن يعامل الأدباء والشعراء في بلادنا المعاملة نفسها من جانب الحكومات.

لقد زرت قبر أبي العلاء المعريّ في معرّة النعمان، فإذا هو كومة من تراب عليها حجران وبجانب القبر شجرتان اصفرت أوراقهما من آثار الغبار الذي تذروه الرياح. مأساتنا كبيرة، بل مأساة ماضينا فينا أكبر من أن توصف.

أين قبر المتنبي؟ أين قبر المعري المهمل أين قبور الشعراء الذين أعطوا هذه الأمة مجدها وحافظوا على كرامتها؟

الشعر في لغات العالم المتقدم ونتيجة لما قدمت له تلك الشعوب من خدمات وطورته نحو الأفضل أضحي كثير الأوزان متغير القوافي، وأضحت القصيدة وحدة متكاملة.. مما يجعل القصيدة مهتمة بالمضمون معنية بالشكل مائلة إلى السهولة واليسر، بحيث لم يعد الشعر الإنكليزي يعاني أعباء القوافي ولا قيود الأوزان كما نعاني نحن... أجل إن القافية في لغتنا وبطريقتنا التي نستعملها في شعرنا أضحت عائقاً في وجه المضمون وعاملاً سلبياً في سبيل تقدمه.

أضاف الإنكليز إلى لغتهم كلمات يحتاجها الزمن ويقتضيها التقدم الحضاري، وحذفوا كلمات عفى عليها الزمن، ولم تعد تمشي الأيام والحضارة. أما نحن فلم نحاول أن نمدد يدنا إلى اللغة. فأضحت معاجمنا ملاءى بكلمات ميتة لا نستعملها ولا نعرف معانيها، وليس لها من فائدة ترجى.

وتصدنا الحضارة كل يوم باكتشافات واختراعات، فعجز أن نجد لها كلمات تؤدي معانيها. وسبب ذلك توقفنا عند عصور مضت لم نخدم لغتنا ولم نساعدنا على التقدم كما يجب.

عصور من الانحطاط، وقرون من الضعف، كلت فيها الهمم، وضعفت فيها القرائح.. سارت باللغة والأدب بشعره ونثره إلى الوراء، حتى أضحي كل ما لدينا هزياً ليس بذي قيمة، وخوى النثر والشعر من الجمال في الأسلوب، والتحليق في الخيال، فلا صورة تروق القارئ، ولا خيال يعجبه، ولا مضمون يتوقف عنده يشجعه على القراءة.

جاء العصر الحديث وسميناه عصر النهضة، ولا أدري كم تنطبق هذه التسمية على الواقع.. ترى هل نحن الآن في نهضة حقيقية؟ هل نهضنا بلغتنا؟ بحياتنا؟ بأساليبنا؟ بتناولنا المعاني؟

كم أتمنى لو نكون كذلك.

لغتنا يا قوم من أروع لغات العالم وأعظمها لو أتاحت لها همم عالية تسير بها إلى مصاف اللغات العالمية.

لقد تركنا هذه اللغة بعيداً لم نلغ كلمة، ولم نزد كلمة، ولم نعمق قراءتنا، ولم نستفد مما كتبت الأمم في اللغات وتقدمها والأدب ونقده.. لم نعرف شيئاً عن المدارس الأدبية في العالم المتحضر. وإذا عرفنا فإننا نمتنع عن تطبيق هذه المعرفة على لغتنا التي لو فعلنا لوجدناها قابلة للتجديد، مطاوعة للأيدي الخيرة والعقول النيرة.

العيب ليس في لغة الضاد، إنما نحن المقصرون في أداء ما علينا تجاه هذه اللغة الرائعة. وقد طلع علينا العصر الحديث برجال في شتى الأقطار العربية يريدون استبدال لغة الضاد بلهجات تلك الأقطار المحكية جاهدين في تحطيم الأمة العربية ولغتها.

اللغة العربية قلعة محصنة بالقرآن الكريم، الذي أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء على رسوله الكريم قرآناً عربياً غير ذي عوج، وقال فيه: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون». وبحفظ القرآن تحفظ اللغة، فلينطح صخرة اللغة الصلبة بقرنيه من أراد أن ينطحها، فإن الصخرة لن تنفتت، ولن تؤثر عليها محاولات الناطحين، وستكون النتيجة أن تتكسر القرون الناطحة، وتبقى اللغة قلعة حصينة قوية.

علينا يا أبناء هذه الأمة أن نأخذ عن الأمم المتحضرة التي حافظت على لغاتها. وعملت على تحسينها وتقدمها، ونعمل دائبين جادّين في إيصال هذه اللغة إلى الذروة بحيث تتربع على عرش اللغات قاطبة.»

ذلك كان المنطلق إلى رحاب الشعر حيث أخذ جودت حيدر يقول الأبيات تلو الأبيات ويطلع الشعر الإنكليزي والأميركي، ويدرس ويراجع، ويعبّ الكتب بأنواعها عباً حتى أسلسلت اللغة الإنكليزية له قيادها، وأخذ يشارك في أمسيات شعرية كثيرة وينال شعره الإعجاب، مما شكل لديه حافزاً قوياً لمواصلة المطالعة ونظم الشعر.



أمسية شعرية في الجامعة الأميركية في بيروت



الدكتور الأديب شوقي خير الله مقدماً الشاعر حيدر في الأمسية التي أحيائها في الجامعة اللبنانية الأميركية، بيروت وتبدو الأنسة مليحة عسيان ممثلة «جمعية خريجي BUC»



الحضور يتقدمهم الشخصيات السياسية

آمن أن المواظبة على القراءة أساس في تمتين الشعر وتقويته، فلم يتوقف عن قراءته الشعر الإنكليزي والعربي والمترجم من اللغات الأخرى، وما زال حتى يومنا هذا وهو في السادسة والتسعين يقرأ وينظم الشعر ويقول: «.... وما دمت حياً فسأبقى أكتب الشعر وأعمل على تحسينه وتشذيبه».

يتحدث شاعرنا عن دواوينه فيقول:

«بدأ الشعر ينساب من لسان قلبي منذ كنت في تكساس أدرس التربية والتعليم وبقي إلى يومنا هذا فكانت لي دواوين ثلاثة في اللغة الإنكليزية.

أواخر سنة ١٩٧٩ اتصلت بدار نشر Vantage Press في نيويورك طالباً نشر أول ديوان لي «(أصوات)». {Voices} فطلبوا إرسال هذا الديوان إليهم لمراجعته. أرسلت مخطوطة الديوان، وعندما جاء الرد بالإيجاب سررت جداً، وذلك لأن دار النشر هذه لا تنشر سوى الكتب القيمة بعد مراجعتها بدقة. أبصر الديوان النور سنة ١٩٨٠، وبيعت نسخ كثيرة منه في الولايات المتحدة الأميركية، وقرطت جريدة نيويورك تايمز الديوان بما يأتي.

"Jawdat Haydar the intellectual heritage of Lebanon crosses with the American tradition to form the unusual poetry in this aborning cultural collection...".

New York Times
September 10, 1980

واظبت على كتابة الشعر باللغتين: الإنكليزية والعربية. طبعت الديوان الثاني بالإنكليزية «(أصداء) {Echoes} سنة ١٩٨٦ بيروت.

عن (Echoes) قال الشاعر عمر أبو ريشة في مجلة الشراع في عددها الصادر ٩ آذار ١٩٨٩

«قصائد جودت حيدر ذخيرة عطاء إبداعٍ نادر».

ثم ألحقته بديوان ثالث بالإنكليزية أيضاً أسميته «ظلال» {Shadows} سنة ١٩٩٨.

وجاء في إحدى المقالات:

«الشعر عند هذا الشامخ يبدأ بلمعة وينتهي بعبرة. وفي ظلاله عودة إلى الشباب واحتفالٍ بعهودٍ مضت تركت بصماتها على تراب السليقة. إنها خبرة السنين، مخر خلالها عباب الاختبار وما زال ينقب ويبحث كي يغني حياتنا بلغته الإنكليزية الراقية المعبرة ويطلق أشعرته موسيقى خالدة متينة بأبعادها... وسموها»

أما الديوان الرابع في اللغة الإنكليزية سيصدر قريباً تحت عنوان: «الزمن» {Time}. وهو الآن في صدد اعداد كتاباً ادبياً «دنيا الفكر» باللغة العربية.

● واحة الأدب في البقاع

يتحدث أدينا بتواضعه المعروف عن هذه الواحة فيقول:

«فكرت في إنشاء تجمع أدبي يجمع شعراء البقاع وأدباءه، وبعد أن اختمرت الفكرة في ذهني شاورت بعض الأدباء والشعراء فأبدوا استعدادهم، وكان اتفاقنا على تأسيس واحة الأدب في البقاع.»

تشكلت الهيئة الإدارية التأسيسية لـ«واحة الأدب في البقاع» في بعلبك من السادة: جودت رستم حيدر، د. جوزف متري الخزاقة، نظمي تفيد جمال، روكز جورج المنير، ريمون جان القسيس، وجيه كريم الحداد وسعد حسن كمووني ود. يوسف شريم.



أعضاء من الواحة يتوسطهم رئيسها الشاعر جودت حيدر من اليمين: د. جوزف خزاقة، المحامي وجيه حداد، جودت حيدر، الشاعر ريمون قسيس، د. يوسف شريم والسيد روكز منير

في صيف عام ١٩٩٥ وفي مهرجان حاشد حضرته فاعليات سياسية واجتماعية وأدبية ودينية في بعلبك، وفي منزل الشاعر جودت حيدر أعلن عن ولادة «واحة الأدب في البقاع».

وأهم أهدافها:

- جمع شمل أدباء وشعراء البقاع وإقامة التعارف في ما بينهم
- تشجيع الكتاب تأليفاً وطبعاً ونشراً
- تدارس أوضاع الأدباء والشعراء في البقاع
- معالجة أزمة النشر وخاصة في البقاع
- تسليط الأضواء على أدباء وشعراء البقاع من خلال وسائل الإعلام المركزية
- معالجة قضايا الترجمة
- السعي لضمان حياة الأديب في حياته
- إدخال بعض الأدباء اللبنانيين البقاعيين في الكتب المدرسية للمراحل المختلفة ولقد ادخل الشاعر في كتاب البكالوريا القسم الثاني في الأدب الانكليزي والإنسانيات
- العمل على ترقية الأغنية اللبنانية، وذلك لانتقاء القصائد الوطنية وغير الوطنية ذات المستوى الجيد لتكون مادة للغناء وإدخال الشعر في الأجواء الفنية الراقية.



شعار «واحة الادب في البقاع»

الجمهورية اللبنانية
وزارة الداخلية

مصلحة الشؤون السياسية والإدارية

علم وشعر رقم /اد

تأسيس جمعية باسم : " واحة الأدب في البقاع "
مركزها : بعلبك

ان وزير الداخلية

بناءً على المرسوم رقم ٦٨١٢ تاريخ ١٩٩٥/٥/٢٥

بناءً على قانون الجمعيات الصادر في ٢ آب ١٩٩٦ ولا سيما المادة السادسة

بناءً على الطلب المقدم من مومسي الجمعية المسماة : " واحة الأدب في البقاع "

بعلبك والمجل لدى مصلحة الشؤون السياسية والإدارية برقم ٢/٢٣٧٤

تاريخ ١٩٩٥/٥/٢٢

وبعد موافقة المراجع المعنوية

بناءً على القرار مدير الداخلية العام

يقرر ما يأتي

المادة الأولى : يعطى العلم والخبر للجمعية المسماة : " واحة الأدب في البقاع "

مركزها : بعلبك - الشارع الرئيسي - ملك الشاعر جونت بك حيدر

أهدافها : ١ - توفير المناخ الأدبي للشعراء والكتاب والمبشرين والقنايين
العقبيين في محافظة البقاع

٢ - الاهتمام بالقضايا والشؤون الأدبية والفكرية والاجتماعية

٣ - الاعتماد من المظهر السياسي

٤ - توثيق مدى التعامل بين المومسات الثقافية والعقبيين

المومسون المادة :

جونت رستم حيدر = ريمون جان القيسني
د. جوزف ميري الخراقة = وجيه كريم الحداد
نظمي فريد جمال = سعد حسين كعولسي
روكن جورج العنيسر

م

ممثل الجمعية تجاه الحكومة : السيد وحيه كريم الحداد

المادة الثانية : على الجمعية المذكورة اعلاء الشئيد بالواجبات العتريية عليها بمقتضى احكام قانون الجمعيات والقانون المنقذ بالمرسوم رقم ١٠٨٣٠ تاريخ ١٠/٩/١٩٦٢

المادة الثالثة : يبلغ هذا العلم والخبر حيث تدعو الحاجة

بيروت ، في

عليه وزير الداخلية

ميشال المص

يبلغ لجان

المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء *
مصلحة الشؤون السياسية والادارية (مع الملف)
محافظة البقاع
المديرية العامة للأمن العام
المديرية العامة لأمن الدولة
المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي
وزارة الشؤون الاجتماعية
وزارة الثقافة والتعليم العالي
اصحاب العلاقة
الجريدة الرسمية



جانب من الحضور في أحد المهرجانات الشعرية

كتبت صحيفة المجد في سوريا في عددها الصادر في ١٢ حزيران ١٩٩٥ تقول:

«أقيم في لبنان منذ ايام المهرجان الشعري والادبي الثالث في «واحة الادب في البقاع» وفي مدينة بعلبك بالذات حيث شارك شاعر العرب جودت بك حيدر. وكان لبنان ممثلاً بكافة شخصياته الرسمية والشعبية وشعرائه ومثقفيه ورجال دنيا ودين...

تحدث الدكتور خير الدين عبد الصمد من سوريا حامل لقب ووسام الدفاع عن حقوق الإنسان. وبعد أن أنهى الدكتور كلمته قدم براءة ووسام ولقب المحامي الأول للدفاع عن حقوق الإنسان للشاعر العربي الكبير جودت بك حيدر وسط شلالات من التصفيق وعدسات رجال الصحافة. وكان قد تحدث كل من الشعراء عازر بشارة، جورج الأشقر، سميح حماده، نظمي جمال، سعد كموني، ريمون قسيس، علي فرحات، وحسين حيدر.

وقد اختتم المهرجان بقصيدة نثرية للشاعر حيدر.

كتبت جريدة السفير عن أحد نشاطات واحة الأدب في عددها الصادر في ٣٠ أيلول ١٩٩٣

«حاضر الدكتور حسان حلاق عن رستم حيدر رجل الدعوة والدولة والإصلاح في منزل جودت حيدر، في بعلبك في إطار سلسلة رواد العروبة في لبنان في حضور الوزير السابق محمد صفي الدين، والأديب منح الصلح والنقيب زهير عسيران. قدم المحاضر محمد الحاج سليمان...



مقدمة الحضور من اليسار: نقيب الصحافة الأسبق الأستاذ زهير عسيران، النائب محمد صفي الدين، المفكر منح الصلح والأستاذ خليل إبراهيم بك حيدر.

تحدث الدكتور حلاق عن رستم حيدر مشيراً إلى جذوره التاريخية لافتاً النظر إلى أنه كان موجهاً أساسياً للسياسة العراقية ولسياسة الملكين فيصل الأول وغازي.

● ترميم وإعادة تمثال شاعر الأقطار العربية خليل مطران إلى ساحته في بعلبك

كان أهم أعمال الواحة ترميم تمثال شاعر الأقطار العربية الشاعر خليل مطران الذي فجر أثناء الأحداث الأخيرة وإعادته إلى مكانه في بعلبك في مهرجان شعري وأدبي حاشد. وهذا ما جاء على لسان الدكتور الأديب شوقي خير الله عن هذا المهرجان:

«الخلد لم يعط لبشر. لما فوق البشر أعطي. الخلد أعطي
لعمالقنا الكنعانيين والآراميين = وكلاهما عرب = ولنخبة
مثقفة من قواديمها خليل المطران وجودت حيدر الذي ابتدع،
وهو يقارب التسعين، هذا المهرجان الأرقى والأنبل».

تكلم شاعرنا عن الدوافع وجهوده في سبيل ما تقدم فيقول:

«لا بد وأنا أتحدث عن الجهود الكبيرة التي قمت بها في سبيل ترميم تمثال خليل مطران وإعادته إلى مكانه من الحديث عن الدوافع التي دعتنني إلى هذا العمل.

في الحقيقة كانت في ذهني مرامٍ شعرية أدبية تلخص باحترامي وتقديري لشاعر الأقطار العربية مطران، وأبعاد اجتماعية ووطنية، ولعلها كانت الأهم في نظري بعد أن كادت الأحداث أن تفتك بجسم الوطن وتقوض أركانه وتقضي على كل أسسه ومقوماته.

كان الغرض من إعادة تمثال مطران إلى مكانه هو إعادة اللحمة بين الطوائف في لبنان، والبرهان على أن هذه المدينة رغم ما لحقها من هوان، ورغم ما أصابها من إهمال... هذه المدينة. بقيت وستبقى لؤلؤة الزمن والدرّة الثمينة على الدهر، ستبقى بعلبك أم العطاء وعنوان الفكر النير، ويبقى أهلها مثلاً أعلى للتعاون والتسامح والتعاضد بشتى طوائفهم ومذاهبهم.

وأردت برفعي لتمثال مطران في مكانه أن أبرهن للملأ.. للبنانيين وغيرهم من الشعوب العربية مكانة بعلبك في التاريخ، وأنها ما نالت هذه المكانة إلا لأنها تستحقها، فهذه المدينة التي جعلت منها روما لؤلؤة الإمبراطورية التي امتدت إلى الهند

شرقاً وجزر الانكلوسكسون غرباً، هذه المدينة كانت نموذجاً في الدنيا، وكانت دنيا من البشر تؤمّمها على مدى الأجيال لترى ما فيها من عجائب، وترى هياكل الآلهة التي قطنت فيها قروناً وقروناً، وأحاطوها بالورود ودوالي العنب، وشربوا كوؤوس الخمرة المخمرة من عنبها، ورحلوا ورحلت معهم أيام بعلبك الزاهية.»

وهكذا تقدمت «واحة الأدب في البقاع» بطلب إلى فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ الياس الهراوي في ١٢-٦-١٩٩٥ تعلمه فيه عن رغبتها في إعادة تمثال خليل المطران إلى ساحته في بعلبك في إطار مهرجان كبير يقام برعايته في دارة رئيس الواحة جودت حيدر.

فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية المحترم
بواسطة سعادة السفير مارون حموي المحترم

إن الهيئة التأسيسية لواجهة الأدب في البقاع والمؤلفة من السادة:

الرئيس	:	الشاعر جودت حيدر	:	بعلبك
نائب الرئيس	:	الشاعر ريمون قسيبي	:	زحلة
أمين السرد	:	دوكز منير	:	بعلبك
أمين الصندوق	:	د. جوزف خراقة	:	زحلة
ممثل لدى الدولة	:	الحامى وجيه حداد	:	زحلة
مستشار	:	سعد كموني	:	جب جنين
مستشار	:	نظمي جمال	:	مخمدثة

إن هذه الهيئة ترغب في إعادة تمثال شاعر الاقطار العربية
الشاعر الراحل خليل مطران إلى قاعدته الأساسية في مخمدثة بعلبك
بالتعاون مع كافة الهيئات السياسية والمزبية واتحاد الكتاب اللبنانية
وال مطران

وذلك ضمن إطار مهرجان كبير - يقام برعاية فخامة رئيس الجمهورية
الأستاذ الياس الهراوي -

ويدعى الى المشاركة في هذا المهرجان شعراء من دول عربية:
مصر - السعودية - الكويت - السودان - الأردن - العراق - سوريا ولبنان

المكان : ساحة مدينة يملك - دائرة جورت سيدر

الزمان : ٢٧ آب، ١٩٩٤

لذلك

تلتزم الهيئة التأسيسية لرواية الادب في البقاع من سعادتكم الاطلاع على
هذا الطلب وتحديد موعد لقاء مع لجان لدراسة الامتجاعة لهذه الرواية في
وضع المهرجان تحت رعاية فسات.

وتتخذوا بقرول فالتق الا ارام

التوقيع



الرئيس: جودت حيدر

١٧ حزيران ١٩٩٤

ملاحظة:

اسماء اللجنة التي تولب مقابلة فقامه الرئيس:

- المطران كزيمس بيمترس

- الشاعر جودت حيدر

- القاضي وحيه حداد

- د. جوزف خراقة

- د. ميشال حنا

- رياض قاسم

- نخلة المطران

تفضل فخامته بالرد الإيجابي على هذا الطلب وابتدأت الاتصالات على جميع المحاور لإتمام هذا العمل الجبار وعندما استكملت جاء الإعلان عن المهرجان في نقابة الصحافة اللبنانية وبرعاية نقيب الصحافة الأستاذ محمد البعلبكي.

وهنا نص الكلمة الإعلان التي ألقاها رئيس الواحة جودت حيدر من على منبر نقابة الصحافة:

«حضرة نقيب الصحافة

حضرة حملة القلم في هذا الوطن

حضرة أصدقاء الإبداع والثقافة»

نحن ما زلنا بالزمن المتعب الذي ضعضع وخلخل حرمت الجغرافية والتاريخ. ولا شك أن هذا الوطن سيعود إلى بعض أمانه إذا عادت الخريطة والجغرافية إلى تركيبها الأصيل وإذا تركت الكلمة للتاريخ الصادق والواضح.

لذلك أردنا بعودة خليل المطران إلى أرضه وهو ابن بعلبك وأسرته متجذرة في أرض البقاع. هذه العودة ستثبت من جديد أخوة اللبنانيين التي لن تقوى عليها سيوف الانقسامات.

وأضيف قرأت منذ فترة في إحدى المجلات اللبنانية خبراً أوجعني. يقول الخبر: ان عظام خليل مطران موجودة في صندوق حديدي في إحدى القاعات الملحقة بإحدى الكنائس.

هذا طبعاً من واقع يحاول أن يهد ذكريات تغني التاريخ وتقني أمجاده. والمبدعون أبطال هذا المجد. يهزهم الزمن يغيبهم، لكنه لا يميتهم أبداً. وشاعر الأقطار العربية خليل المطران فارس من هؤلاء.

لا تكون بعلبك - بعلبك الشمس إلا إذا عادت هي إليه وفتحت له أبوابها وزرعت شعره في تربتها.

ونحن في هذه المناسبة لا نقف عند قضية تكريم الشعراء في أرضهم وفي بلادهم. بل نتعدى ذلك إلى دور الإبداع في مسيرة الأمم.

ويوم يفصل هذا الإبداع عن هذه المسيرة تتخبط الأمة في هوة من الغربة والجفاف.

نحن اليوم عائدون إلى خليل مطران. عائدون إلى فروسية قلمه وإلى وجدانية شعره الذي اخترق هياكل الحجر بانياً من الشعر هياكل الجمال والحق.

ويلٌ لأمة لا تعرف شعراءها ولا يدخل الشعر ماءها ورغيفها وبساتينها ودروبها. في هذه المناسبة الجامعة يشرفني أن أؤكد للبنانيين أن العودة إلى الشعراء هي عودة إلى الينايع.

خليل مطران عملاق في مسيرة عمالقة كثيرين، نسيناهم حتى كاد أن ينسانا الجمال في هذا الوطن الجميل. أرجو أن يكون لقاءنا اليوم حول خليل مطران ابن بعلبك البار واحداً من لقاءات تنهض بثقافتنا وإبداعنا.

وفي الختام الشكر الكبير ترفعه واحة الأدب في البقاع إلى فخامة رئيس الجمهورية الأستاذ الياس الهراوي راعي الاحتفال. وإلى وزارة الثقافة والتعليم العالي ومعالي الوزير الأستاذ ميشال اده. ووزارة السياحة ومعالي الأستاذ نقولا فتوش للدعم والمشاركة. وإلى اتحاد الكتاب اللبنانيين الكرام.

أما أهلنا في بعلبك فهم رفاق الطريق وأهل البيت. والسلام.»



ممثّل آل مطران السيد نخلة مطران إلى جانب جودت حيدر أثناء المهرجان

كان هذا المهرجان برعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الياس الهراوي وبمشاركة اتحاد الكتاب اللبنانيين بالتعاون مع وزارتي السياحة والثقافة والتعليم العالي.

حضر المهرجان الذي أقيم في دارة جودت حيدر في بعلبك حوالي خمسة آلاف شخص ونيّف يتقدمهم عدد كبير من الوزراء والنواب وأصحاب الفضيلة والنيافة كما حضر شعراء من معظم الأقطار العربية وكانت لبعضهم كلمات في المناسبة ومنهم: بلند الحيدري، أحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي.

بيد رعاية فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية
للشؤون الثقافية

وأمانة الأدب في البعثة
ومكتبة إيفاد الكتّاب اللبنانيين
بالتعاون مع وزارة الثقافة والتعليم العالي
ومكتبة إيفاد وزارة التربية

ينشر فون بدعوتكم الى حضور

مهرجان تكريم شاعر الأقطار العربية خليل مطران

الزمان : نهار الأحد في ٢٧ كپ ١٩٩٥ الساعة الرابعة مساء
المكان : دارو الشاعر جودت حيدر في بعلبك

ينبع المهرجان حفل ازاحة الستار عن فعال الشاعر
في ساحة خليل مطران/ بعلبك

برنامج المهرجان

كلمة رئاسة الجمهورية
كلمة وزارة الثقافة والتعليم العالي
كلمة وزارة السياحة
الشاعر جودت حيدر
الدكتور دوحى بعلبكي
الدكتور علي حقله عرسال
الشاعر المبدئي من صالحي
الشاعر محمد المينوري
الشاعر بلند الصبوري
الشاعر احمد عبد المصطفى حمادي
الشاعر عبد الوهاب البياتي
الشاعر الياس ابيد
الشاعر نجيب جمال الدين
الشاعر ريمون قسيس
الاستاذ نائلة مطران

حريف المهرجان : الدكتور ميشال حمدا

رئيس امانة الادب في البعثة
الامين العام لاتحاد الكتّاب اللبنانيين
رئيس اتحاد الكتّاب العرب في سوريا
رئيس اتحاد الكتّاب التونسيين
لهيّا
لندن
مصر
البحراني
لبنان
بعلبك
واحدة الابد في البعثة

عن آل مطران



تمثال خليل مطران في مكانه من جديد



أشادت الصحف بالمهرجان وهذا بعض ما كتب:

في صيف ١٩٨٥، امتدت أيدي التخريب محاولة نسف تمثال الشاعر خليل مطران، المنصوب في الساحة التي تحمل اسمه في بعلبك. ولكن التمثال تضرر فقط في أسفله، ونقل بعدها إلى داخل قلعة بعلبك، ووضع في حماية عمال الآثار.

وفي أواخر آب عام ١٩٩٥ أعيد التمثال إلى مكانه، بفضل جهود الشاعر البعلبكي جودت حيدر وتخلل المناسبة احتفال أقيم في دارته في حضور ممثلين عن رؤساء الجمهورية والحكومة والمجلس النيابي والوزراء، والشعراء بلند الحيدري وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد الوهاب البياتي، والياس لحود وريمون قسيس وميشال جحا وفاعليات سياسية وثقافية واجتماعية لبنانية وعربية.

والشاعر حيدر الذي تحرك لإعادة التمثال قد شكل لجنة لمتابعة هذا الأمر من كل القطاعات، وعقد مؤتمراً صحفياً في نقابة الصحافة أعلن فيه عن خطواته وتحركاته. واستطاع تنظيم هذا المهرجان الثقافي بالتنسيق مع اتحاد الكتاب اللبنانيين، ووزارتي الثقافة والسياحة. وهكذا تحول مهرجان إعادة التمثال ملتقى الشعراء والأدباء، الذين تباروا حول ذكرى خليل مطران.

فقد جاء في كلمة رئيس الجمهورية آنذاك الياس الهراوي والتي ألقاها معالي الوزير شوقي فاخوري:

يا خليل مطران، انك بحق الهرم الرابع والعمود البعلبكي السابع، فهنئاً لك كل هذا الملك العظيم، وأي زمان يشتهي ان يبتدئ به ولا ينتهي، وليبق شعرك حكايات الحقول وماء الينابيع، وقناديل الغسق، ومزهريّة كبرى نزين بها العمر والقدر....»

كلمة الشاعر حيدر في المهرجان:

«حضرة ممثل رئيس الجمهورية معالي الأستاذ شوقي فاخوري

أصحاب المعالي والسعادة

حضرة رجال الدين الأجلاء

حضرة الرسميين والعسكريين

حضرة ضيوف البقاع القادمين إلينا من أنحاء الوطن العربي رسميين ومبدعين
ومثقفين.

حضرة حملة القلم في بلادي

أيتها النخبة التي تحلقت اليوم حول ذكرى المطران وإبداعه

نحن كلنا أهل العرس فلا ترحيب ولا مجاملات بل وقفة إجلالٍ أمام إبداع لن يطويه
زمن الموت والغياب.

خليل مطران العظيم من الهيكل. والهيكل مجد بقاء.»

«توالفت الأوزان والقوافي اجنحة النظيم بالفكر انطادات رفوف بيان وانتشرت
في مشارق الأرض ومغاربها وهوت على ضفاف النيل وبردى بعدما اصطادها
الخليل ونقش برياشها على قمم البلاغة كنوز الكون خفايا الطبيعة من الإبداع،
وغزا بالشعر المستفيض بحور البیداء. هذا خليل شاعر القطرين الموحى اليه من
غدير خزينه الصافي شيد منارة هداية نورها استحال مجرات نجوم وكل نجم منها
سراجة شعر من أشعاره سابحات في الفضاء كالغيوم تتصافح وتبتسم ثم تندم
وتطبق شفاها فترعد وتمطر دموع المحبة ما بين الإنسان وأخيه الإنسان في وطن
واحد موحد إلى الأبد.

لذا أقول الحياة زمان وقدر تحترق كالهشيم والنادر منها يبقى وميض ماس في
الرماد. هكذا ودع الخليل الأحبة والجيران وترك أرثه من الرشد لأمة عطشى
للإرشاد، ترك محيطات من الثقافة والرموز بعدما أبحر في بحور الأبجدية وأخذ
يستقي من هديرها صفاء الفكر ومن عواصفها خبرة الأيام على دروب الأجيال
فكان حصادها سنابل يانعة من الروية والإيقاع، ومناهل في الحداقة بعدما صاغ
دنيا الحروف وجعل من قراءتها صلاة ومن بنائها يقيناً، هذا الجهد المبدع اخذ
بعقلي إلى الذهول وجعل مسار فكري كمسار الجواثم أسير أحلامي بين قرب وبعد،
رحم الله خليل المطران من حاك من شعاع بعلبك أفكاره فكانت ثروته في الحياة
والخلود، رحمات الله عليه.»

Khalil Moutran

I have reared the progeny of my mind
A world of thoughts on the campus of time
And I have traveled to Egypt to find
Who turned over the blue Nile into rhyme

Him master of the Alphabet has made
Of the letters rivers of poetry
A unique poet who had a crusade
Crossing the border heights of Poesy

Far across the visioned cloud-land of space
Schooled well of vision by the lore of sci'nce
He had the measure of thought to retrace
The right circumference of circumstance

By the sovereign knowledge of the word
He uttered to go round and'round the world

* * *

بعد مرور سنةٍ على إقامة هذا المهرجان أتى شاعرنا بهذه القطعة الأدبية والتي
نشرت في جريدة النهار عدد ١٩٩٦/٢/١:

خليل مطران

في غمرة الليل أيقظني صوت خافت رخيم، خلت أنه يتصاعد من دائرة الخلود
ويتهاوى بوفرة من الشوق والحنين، حنين حسون ينشد لوعة الفراق أنغاماً لها
مرارات الحزن والحزين، ينشد على مدى الحجيج والصوم والصلاة في قلب كل مؤمن
وفي كل دين، هذا حنين الخليل من بكاه النيل وانصب في البحار أمواجاً عاتية من
الآهات والأنين. هذا حنينه إلى بردى إلى شام العروبة جاه العرب، شام الأسود
والعرين، شام الكرامة محط الآمال والعيون الشاخصة إلى السماء والحرية والنصر المبين،

إلى بيروت عظمة التاريخ، بيروت الأم العطوف من تاه على طريق الحياة وجد فيها
قلعتها التي جعلت من التاريخ ومن أعمدتها قيثاره الريح تندف الحان الطيب من
الوتر وتدهش شقيقات الإغريق في السماء وهن النجوم في سهر، الى بعلبك الرجولة
والجهد، بعلبك الحضارة، بعلبك لوقا والإمام الإوزاعي وصلاح الدين الأيوبي.
بعلبك خليل مطران شاعر الأقطار العربية بل شاعر العصر عاشق النجوم التي امتص
من شرايينها أنوار المعرفة وصاغ من شعاعها نضال الفكر واخترق تخوم الإبداع إلى
قمة الكمال، ونحت من الطبيعة لوحات جمال زين بها جدران المصير بعدما سما
وشارك الوامضات في الوميض ومضى في بسمة الفجر تاركاً شهرته تاريخاً جذوره
حياة، هذا ما زادني شوقاً وحنيناً إليه مسرعاً مع باقات من الورود وضعتها على قدمي
نصبه وكأني سمعته يقول:

«لبنان» بين جباله ورجاله طالت ذراه أوج كل عنان
تحنو عليك صلاله بظلالها وتقرف في وادٍ من التحنان
إن المصير إلى الثرى، وإخاله أندى وارفه في ثرى «لبنان».*

ملحق

ملحق

أ- عن جودت حيدر

ملاً شاعرنا الدنيا وشغل الناس.. عاش حياته كما يقال بكل مراميها وأبعادها وآفاقها.. جاداً في أغلب الأحيان مازحاً يوم يكون المزاح جميلاً يروّح عن النفس وينسيها متاعبها، ويكون الحضور أصدقاء يعرف فيهم الصدق والإخلاص.

أحب المطالعة مبكراً، وبقي حتى يومنا هذا يقرأ الشعر والأدب والتاريخ والفلسفة. كما أحب الموسيقى، وتعلم حين كان في فرنسا، العزف على الكمان، وأكثر ما أحب الرياضة لأنه آمن منذ فتوته وبدايات شبابه أن العقل السليم، في الجسم السليم، ساعده على ذلك جسم قوي متناسق.

مال إلى كرة السلة منذ دخل الكلية الأميركية ببيروت فكان رئيساً للفريق، وتابع رياضته المفضلة في فرنسا، ثم في أميركا، لا يلهيه عن هذه الرياضة لاهٍ ولا يبعده عنها عائق.. مارسها بشغف، وبقي كذلك حتى دخل عالم الأعمال.

يوم كان تلميذاً في الجامعة في الصف الثاني استعدادي انتخب رئيساً لفريق كرة السلة.. وبقي رئيساً لهذا الفريق لعدة سنين.

وفي أميركا بجامعة تكساس تدرب ستة أشهر متواصلة حتى قبل في الفريق الجامعي، وأصبح لاعباً مميزاً.

أهم سماته الطموح فهو الطموح البالغ الذروة في طموحه، يظهر ذلك في كل آونة وكل عمل.. في العمل يطمح إلى الأمتل، وفي الحياة لا يرضى إلا أن يكون في قمته،

وفي المجتمع يأبى إلا أن يكون الكبير الذي ينظر إليه الناس نظرة الإعجاب، ويولونه الاحترام، وفي الشعر اتخذ مذهباً خاصاً به، خصائصه وقواعده جعلته في مصافّ الشعراء العالمين الكبار، وفي علاقته مع الناس مثاليّ متمسك بمكارم الأخلاق والعادات والتقاليد.

وهو شخصية متماسكة قوية لا تخشى الفشل مطلقاً، فإذا ما وقفت العقبات في سبيل وصوله إلى غايته أزالها بشجاعةٍ نادرة. وإذا أحس بشدتها وصلابتها تنحى عن طريقها ليختار طريقاً آخر.. وجدناه في عمله الحرّ كيف كانت العقبات تعترضه بكل شراسة، فينتقل إلى عمل آخر لعله يسهل عليه الوصول فيه إلى غايته المنشودة.

وهو لا يقبل الضيم، ولا يهدأ إذا أحس بالظلم، ويرفض أن يأتيه الوعيد أو التهديد من أية قوة في الأرض. رفض تهديد مدير الشرطة الإنكليزي في نابلس يوم كان مديراً لكلية النجاح، حتى إذا لمس الضابط الإنكليزي قوته وصلابته وعنفوانه رضخ واتخذته صديقاً.

ومع المسؤولين الفرنسيين في سوريا منذ مجيئه من أميركا بعد إتمام دراسته وأثناء عمله في شركة النفط العراقية كان قويّ الشكيمة صلباً عنيداً عالي الرأس دائماً، صامداً.

ويوم لَوَّح له رئيس الجمهورية اللبنانية المرحوم بشارة الخوري بالشدة قال له بعنفوان: أنا لا أرضخ للتهديد.

متمسكٌ أبداً بمكارم الأخلاق محبٌ للمثل العليا لا يدهن ولا يراوغ، ولا يلف ولا يدور.

صادقٌ في كل آن ولو أوقعه صدقه في المهالك. يكره الكذب ولو كان في مجال مزحة أو نكتة.

كانت له صداقات وطيدة مع معظم الشخصيات العربية أمثال:

جلالة الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية، فخامة رئيس الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الحسيني، فخامة رئيس الجمهورية السورية السيد هاشم الأتاسي، فخامة رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية إميل إدّه، فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشاره الخوري، دولة الرئيس عبد الحميد كرامي، دولة الرئيس رشيد كرامي، دولة الرئيس عادل عسيران، معالي الوزير توفيق شامية، النائب نوري الحكيم، السيد إحسان الجابري، دولة السيد سعدالله الجابري، النائب يوسف بك الزين، المؤرخ والفيلسوف جواد بولس، الشيخ قبلان عيسى الخوري، الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي لقيه يوم كان يشرب الشاي مع جلالة الملك فيصل ملك العراق وأخيه محمد رستم في حديقة البلاط الملكي في العراق، العميد ريمون إدّه، النائب موسى نمور، البطريك المعوشي، النائب عبدالله الحاج، النائب الصحفي عبدالله المشنوق، السيد ألفرد سكاف وغيرهم.

الشاعر أحمد شوقي الذي كان يزور لبنان كثيراً ويلتقيه دائماً، الشاعر السوري عمر أبو ريشة، شاعر الأقطار العربية خليل مطران.

ومن هؤلاء الأصدقاء فريق كرة السلة في الجامعة الأميركية ببيروت الذين بادلوه أسمى معاني الصداقة والوفاء.

أما عن صديقه الأديب سعيد تقي الدين يقول:

«كان سعيد يتردد إلى بعلبك أثناء تولي والده محمود تقي الدين منصب المحافظ هناك. كان سعيد ذا ذكاءٍ حادٍ وثقافةٍ عاليةٍ وروحٍ أدبيةٍ وقلمٍ سيالٍ ومن أعماله الأدبية مسرحيته المشهورة «لولا المحامي» التي كتبها في منتزه «رأس العين» في بعلبك.

ربطتني به صداقة متينة رغم أنه كان يكبرني سنّاً حيث امتدت أواصرها وتشعبت أغصانها، فأصبحت صديقاً لأخوته.

ترك سعيد بلده وسافر إلى الفيليبين ليمضي سنة كاملة ويعود بعدها إلى وطنه.

كم كانت سعادتي به يوم زارني في طرابلس وبصحبه الصديق ميشال سماحة وبعض الأصدقاء، فعدنا إلى ذكريات مضت، واسترجعناها أياماً عزيزة علينا. كم يأسف المرء حين يرى الصداقات في هذه الأيام قد اختلطت بالمصالح، وعكرت الأنانية صفاءها.

لقد أصبح الصديق الصدوق نادراً. كم أرجو أن يعود إلى الصداقات صفاءها، ويعود الناس إلى أصالتهم وطيبتهم فيغمروا الوطن وأبناءه بإخلاصهم أينما كانوا.» ويستطرد جودت حيدر بالقول:

«أذكر وأنا أقف اليوم على قمة الشيخوخة، وشبابي يناديني من أعماق زماني.. أذكر يوم كنت في الجامعة رياضياً ورئيساً لفريق كرة السلة، وأقفز مائة وثمانية وثمانين ستمتراً.

أذكر شبابي وقوتي ونشاطي، وتقودني الذكرى إلى المقارنة بين الشباب والشيخوخة، بين النشاط والعنفوان والقفز والهدوء والضعف والالتئاد والسير على مهل. هذه هي الحياة على الأرض.. صعود ثم هبوط.. الإنسان كالدول تبدأ صغيرة ثم تقوى وتشتد وتحكم، ثم تضعف ويدب المرض في أوصالها فيتآكلها جزءاً فجزءاً حتى تكون نهايتها.

أين الامبراطورية الإيرانية، واليونانية، والرومانية، والعثمانية والإنكليزية كلها زالت واندثرت، وستندثر تحت أقدام الزمن كل امبراطورية تقوى ويشد ساعدها وتعمر.. هكذا الإنسان أوجده الله على الأرض ليعيش مع أخيه الإنسان بمحبة وسلام ووئام، لكنه يرجع في كثير من أوقاته إلى ما ورثه من حيوانية فتكون الحروب التي تفترس الناس.

لكم يتمنى المرء أن يسود الشرع، وتندثر شريعة الغاب، ويعيش الناس معاً تجمعهم الإنسانية والحب والوئام.»

مخلص في عمله يرى الإخلاص في العمل عقيدة وديناً وشرفاً..

ولا تسل عن حبه لوطنه وتفانيه في سبيله حتى ليتمكن ربط كل مكارم الأخلاق فيه بحبه لوطنه.. أصر عليه رئيس الجامعة التي درس فيها ونال شهادتها بدرجة أثار إعجاب الجامعة على أن يبقى في أميركا، وأمن له عملاً لائقاً، فأجابه مراراً: وطني محتاج لي وأنا محتاج لوطني.

قويّ البنية لاهتمامه منذ صغره بالرياضة ، وما يزال حتى يومنا هذا وهو على أبواب السادسة والتسعين قوي الجسد كما أنه قوي الإرادة، يودع أصدقاءه إلى باب بيته منتصب القامة شامخ الهامة.

إلى ذلك كله عالم واعٍ قرأ التاريخ بإمعان، والفلسفة بعمق، وآمن أن العلم ليس ليخزن في العقول فحسب، وإنما ليستعمل في كل زاوية من زوايا الحياة. وكان نتيجة لفلسفته هادئاً يوم يلزم الهدوء، ثائراً يوم تجب الثورة، ساكناً يوم يكون السكوت خيراً من الكلام.. هادراً كالأسد بأسلوبه الشيق ولهجته الخطابية الرائعة. ولذلك يمكن القول: تطابق أفعاله أقواله.

لم يعرف التعصب الديني، إذا تعصّب فتعصبه لوطنه وأبناء وطنه، وإذا انحاز فانحيازه إلى الحق.. لذلك أحبه الناس جميعاً مسلموهم ومسيحيوهم. كان هؤلاء في نظره أبناء الوطن الواحد فقط، وهذه هويتهم التي بها يعرفهم.

لم يقبل رشوة من أحد، بل وفي سبيل الحرص على نقاء سيرته أبى التعامل مع الأصدقاء أثناء الوظائف التي شغلها. لا يقبل هدية من أحد إذا شَمَّ فيها رائحة محاولة الإفادة. قدم خدمات للناس كثيرة.. وأهداه أولئك تقديرهم وإخلاصهم.

كثيراً ما يقول: لا لزوم أن نتكلم عن الناس.. ما لنا ولل كلام عليهم.. بالرغم من وقوع بعضهم عن قصد أو غيره وفي وقوفهم حجر عثرة أمام طموحاته وآماله.

وحتى يومنا هذا والشاعر يكتب مذكراته يأبى التجريح بأحد، أو يأتي على ذكر أحد، تاركاً ذلك للتاريخ.

أما الاستعمار فهو ضده بشتى أشكاله وحيثما وجد. يقول أنه بالفكر الناضج يستطيع المرء أن يناضل وينتصر وأن أمتنا تحتاج إلى أقلام حاجتها للسيوف. تعاطف مع عبد الكريم الخطابي في ثورته ضد الإسبان والفرنسيين في المغرب العربي.

وإبان الثورة السورية ضد الانتداب الفرنسي، ويوم كان يدرس في الولايات المتحدة كان لا يترك وسيلة لتسقط أخبار الثورة والثوار.

وما يزال شاعرنا حتى يومنا هذا مناضلاً قوياً، وها هي قصائده تجوب أنحاء العالم بالثورة على الظلم وبتأييد الثوار والمناضلين في شتى أقطار الأرض.



مع فخامة الرئيس شارل الحلو



مع دولة الرئيس عادل عسيران



مع دولة الرئيس رشيد كرامي



مع معالي الأستاذ جوزف السكاف



مع دولة الرئيس صبري حمادة والعميد ريمون إده



مع المفكر شارل مالك



مع دولة الأستاذ إيلي الفرزلي



يوقع كتابه لنقيب الصحافة الأستاذ محمد البعلبكي

ب- الأوسمة:

بذل جودت حيدر جهوداً مميزة في سبيل إحقاق العدل وعدم التمييز بين الناس. وكان وقع أعماله في مجال حقوق الإنسان مؤثراً مم استحق التقدير والإستحسان من مختلف الدول والهيئات الدينية والعلمية والوطنية. تبوأ جودت حيدر مركزاً متقدماً بين الشخصيات اللبنانية، لذا وتقديراً لما جاء منح العديد من الأوسمة الرفيعة والتي تدل على المعاني السامية في شخصية وأعمال شاعرنا.



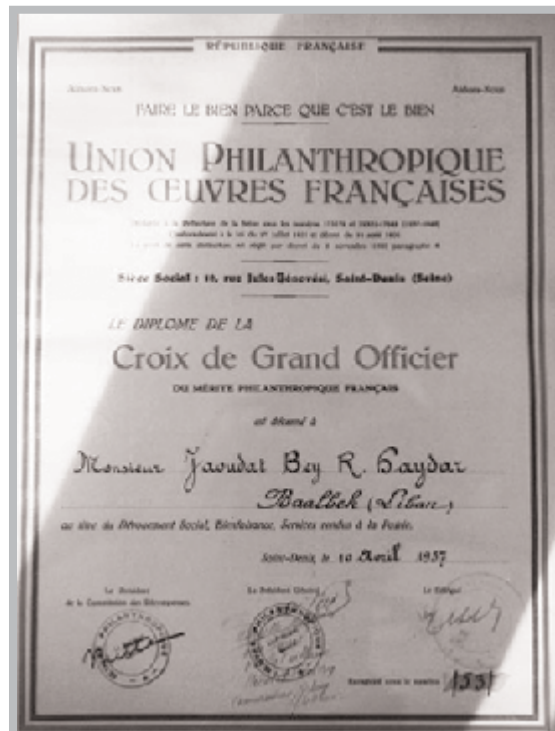
وسام الاستحقاق اللبناني المذهب



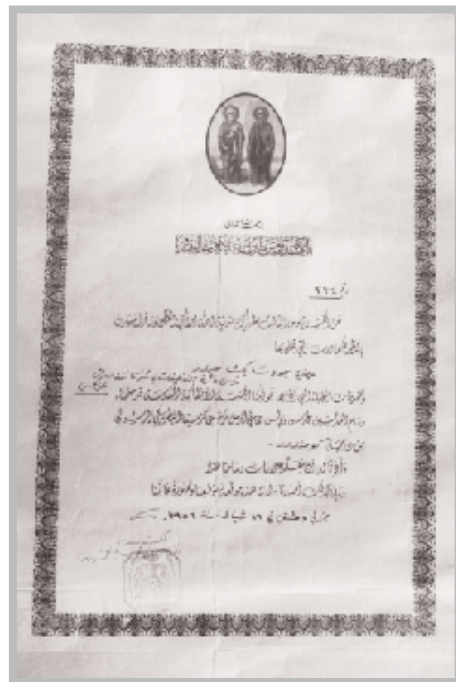
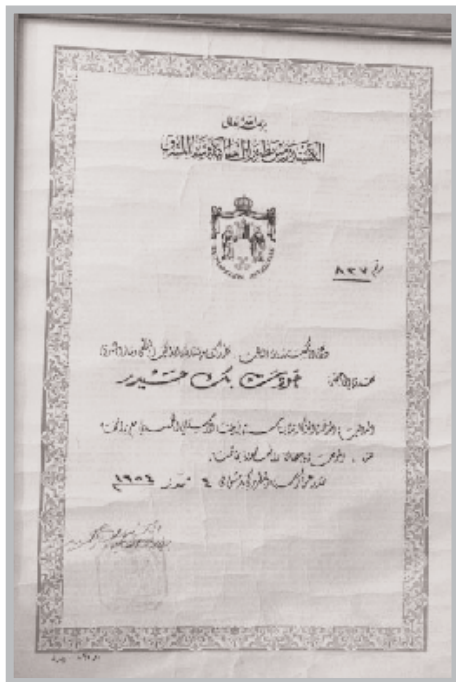
في حفل تقليده الوسام وإلى يساره السيد هيريدج»



الوسام التاسع سنة ١٩٥٩ من قداسة البابا يوحنا الثالث والعشرين



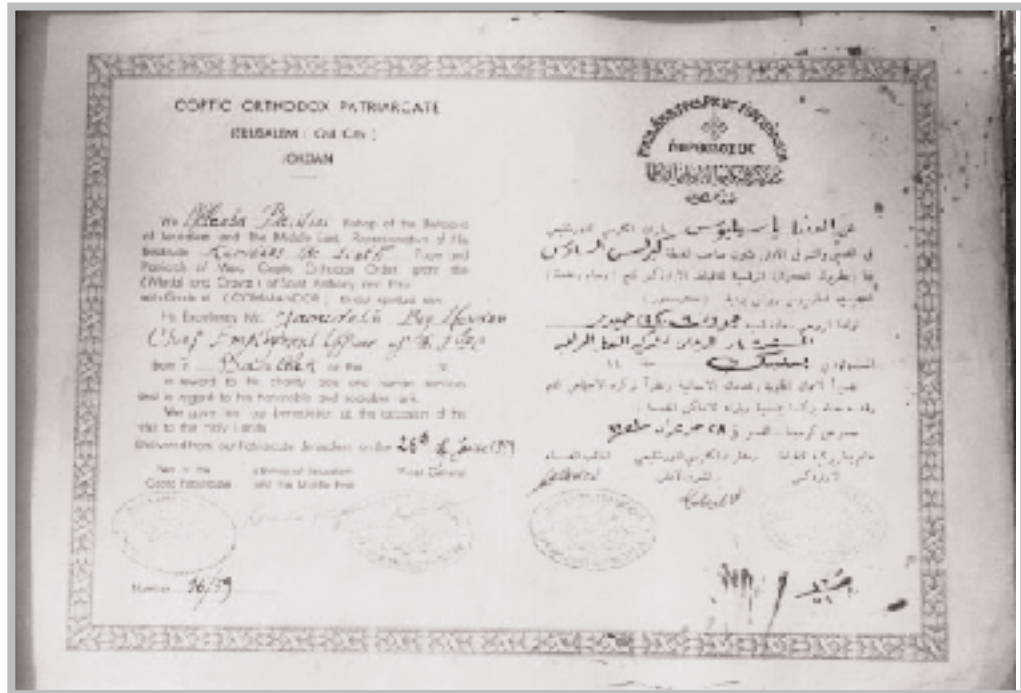
وسام من الدولة الفرنسية Croix de Grand Officier



من بطريرك أنطاكية وسائر المشرق ألكسندروس الثالث في دمشق بتاريخ ١٩٥٦/٢/١٦ وبتاريخ ١٩٥٤/٧/٤



في حفل تسلمه الوسام



وسام القديسين أنطونيوس وبولس من غبطة كريكوس السادس بابا وبطريرك الأقباط الأورثوذكس



وسام من الكرسي الأورشليمي والشرق الأدنى



وسام الكرسي الاسقفي في القدس الشريف



جودت حيدر يتسلم شهادة « حقوق الإنسان » من الدكتور خير الدين عبد الصمد



فخامة الرئيس الياس الهراوي يقلده «اليوبيل الماسي» - الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٩٩



الدكتور فتحي أبو عيانة رئيس جامعة بيروت العربية يقدم له «درع الجامعة» في ٨ أيار سنة ٢٠٠٠، حيث دعت الجامعة إلى أمسية شعرية ألقى فيها بعضاً من شعره في قاعة جمال عبدالناصر.

«بيروت العربية» كرمّت حيدر «أمير شعراء القرن العشرين»



□ الشاعر جودت حيدر مكرماً □

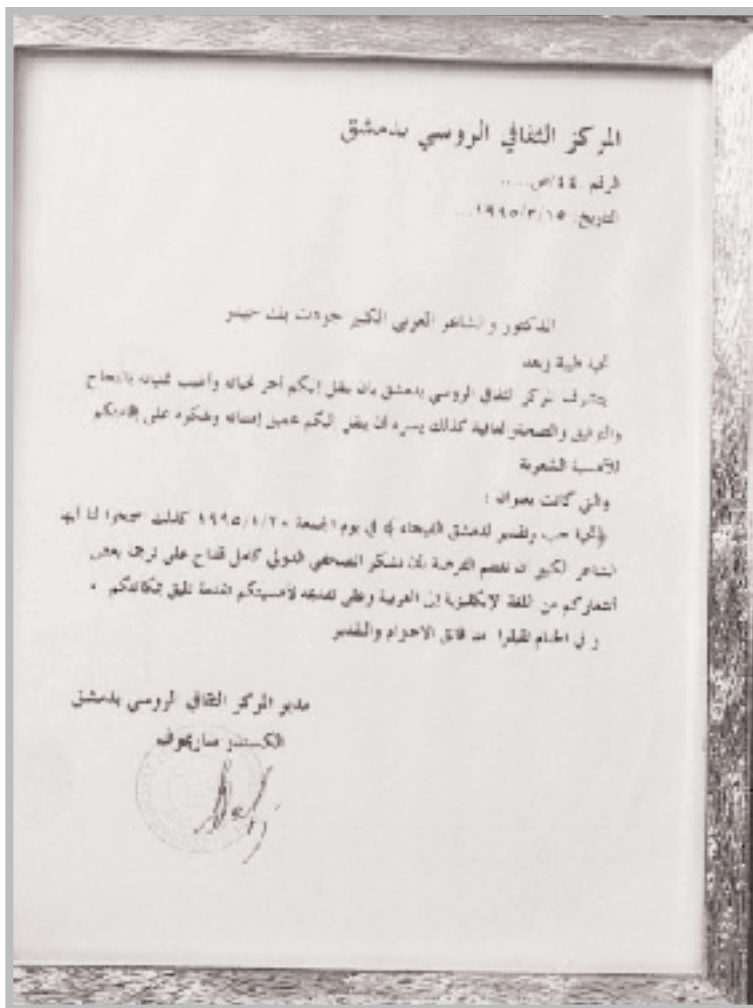
قصائد، جميلتي لا تكوني فخورة،
وعبر القنّاة، والأمل الأخير،
وحائط الصين، وآه يا عالم، المهدة
الى قانا وغير ذلك من القصائد باللغة
الانكليزية. أما بالعربية فقدم قصيدة
«البحر» و«أين نحن اليوم» و«وجودي
لا وجودي» و«بعلبك» التي قال فيها:
«هنا ناكلت العصور مع الصخور
وانتصر الحجر هنا تموت الأيام
ويموت الإنسان... هذا الجمال كتمته
فبها حقيقة ومن الحقيقة صفت
كلمات وضعت أشعاري لوطن ولدت
فيه وفيه قدري».

لمناسبة مرور أربعين عاماً على
تأسيس جامعة بيروت العربية نظمت
كلية الآداب في الجامعة أمسية
شعرية للشاعر جودت حيدر في قاعة
جمال عبد الناصر حضرها الدكتور
أحمد طيارة ممثلاً رئيس الحكومة
الدكتور سليم الحص ووزيرا الثقافة
محمد يوسف بيضون والدفاع غازي
زعير والنواب بهية الحريري وعبد
اللطيف الزين وعلي عسيران والعديد
محمد فقيه ممثلاً مدير عام الأمن
العام اللواء الركن جميل السيد
وحشد من أهل الثقافة وأساتذة
الجامعات وقدم عميد كلية الآداب
الدكتور فتحي أبو راضي الشاعر
فقال: «حبل محبة لبنان ورائحة ترابه
عبر البحور ومد الجسور الى اطراف
الأرض فكان طائر الأرض والبحر
استوحى من الأولى الوفاء والكرم
والثبات في الموقف الحق ومن البحر
المحترف للؤلؤ وغاص في لججه
وتعلم على يديه طول الأناة».

وقدم رئيس الجامعة الدكتور
فتحي أبو عيانة درع الجامعة الى
الشاعر جودت حيدر «بأسير شعراء
القرن العشرين» وألقى الشاعر
جودت حيدر مجموعة من أعماله
باللغتين العربية والانكليزية فقدم



الحضور في قاعة عبد الناصر / جامعة بيروت العربية



شهادة تفويه بأديه
من النادي الثقافي
الروسي بدمشق

ت- منزله:



أما منزله فكأنه فُصِّل على مثاله، كلاهما يشبه الآخر، ممعن في الأصالة، متمسك بالأفضل من التقاليد، عامر على الدهر، يمثل العنفوان والصلابة والصدق. كلاهما يمثل الإنسانية بكل معاني هذه الكلمة، بعيداً عن متاهات الطرق.

على الطريق العريضة، والجادة الواضحة، وعلى ربوة مشرفة على سهل أفيح وطريق عام.. قريب من قلعة بعلبك التي تمثل الخلود يرتفع منزل الشاعر، تحيط به أشجار تشبهه.. عملاقة.. متحدية هزات الزمان وزلازل الدهر، تنشر ظلالها، وتغمر الجو برائحة السرو والصنوبر.

كلاهما واسع الصدر، يمتد الشبه الخارجي إلى أعماق الداخل.. ثبات المنزل كانتصاب قامه صاحبه، وتاريخه الحافل كحياة صاحبه المليئة بالحيوية والحركة والأصالة والعمق.



كلاهما يشبه الآخر.. فهل جاء ذلك صدفة أم أن الشاعر فتش ونقب حتى وصل إلى مثيله؟

يتحدث جودت حيدر عن شرائه بيته في بعلبك فيقول:

«حينما كنت مديراً لشركة النفط العراقية في حمص صممت على بناء منزل في بعلبك.

قررت أن أبني بيتاً رسمته في فكري، ووسّع أرجاءه خيالي.

رسم مهندسو شركة النفط المعماريون خريطة لبيت رائع الجمال، ولم يبق أمامي إلا البدء بالخطوات العملية وأولها شراء قطعة أرض تصلح لبناء بيت يلبي آمالي العراض.

اشتريت قطعة أرض قرب طريق رأس العين في بستان المرحوم محمد علي قانصوه الذي كان قد باعه لآل سلوم. وسافر إلى البرازيل، ولم يطل الغياب وعاد إلى الوطن بعد عام.

عند رجوعه طلب من السيد سلوم إسترجاع الأرض، عندها طلب السيد سلوم إسترجاع الأرض مني فليت طلبه، ثم أخذت أفتش عن قطعة أرض أخرى. أخيراً عثرت على بيتي الذي أملكه اليوم.. كان هذا البيت فارغاً يكاد يكون مهتماً لكنه ذو موقع جميل ومناظر رائعة.

هذا البيت ذو تاريخ حافل، عمره يقرب من مائة وثلاثين سنة. بناه القائد التركي زاهد باشا قائد منطقة البقاع، الذي كان يسكن في بعلبك، وباعه حين أحيل على التقاعد، فألت ملكيته للسيد الياس سكاف من أهالي بعلبك الذي باعه لآل حريز، فاشترته منهم وأعدت ترميمه وعدلت في حدائقه وأشجاره، وأهم ما يروقي فيه سعتة وحدائقه وموقعه وطريقة بنائه.



ث- أقوال في جودت حيدر

لقبه النقاد الغربيون بشكسبير العرب، واعتبروه أحد الأدباء العرب الكبار في المهجر، ووافقهم كبار النقاد العرب رأيهم:

يقول الشاعر أديب فرحات في ديوانه «وحي المجتمع» ما يأتي:

«الاديب جودت بك حيدر من اكابر الشعراء ...

وقد اطلعت على شيء من شعره فأعجبت به كل الإعجاب وبعثت إليه بالأبيات الآتية:

شاعر الإلهام

روعة الشرق وفن المغرب	جمعا في «شكسبير العرب»
شاعر الإلهام والفكر الذي	شق بالإشعاع ستر الغيب
شاعرٌ خلق في عليائه	بجناحي قشعمٍ ذي مخلب
ظلل الشرق جناحٌ منهما	وجناح مدّ فوق المغرب
لج في تحليقه حتى بدا	يتهادى بين زاهي الشهب
سكبت آلهة الشعر على	رأسه أقدس زيت طيب
فانبرى ينظم في هيكله	لؤلؤ الفن ودر الأدب
أدبٌ عالٍ سبت «جودته»	كل لب ولسان ذرب
وغذت ألبابنا حكمته	بعد أن عانت أليم السغب
فنعمنا بالهناء بعد العنا	وظفرنا بالمنى والأرب
ونفحنه بشكرٍ عاطرٍ	يخجل الأزهار بين العشب
لا أرى الشعر سوى وحي ولا	التقي في شاعرٍ إلا نبي

"For an Arab to be known for his poetry in the U.S. is an accomplishment in itself. Write in English and draw praise from literary critics in the "New World" is an act seldom paralleled."

Jordan Times
April 12, 1992

كتبت الأدبية الصحفية زينب حمود عن إحدى أمسيات جودت حيدر فقالت:

«جودت حيدر في تلك الأمسية أكد مقولة أهل الغرب بأنه شكسبير العرب وهو كان ذلك حيث قصائده عن الوجود والحياة والكون والرحيل والفراق والسفر والوطن... قصائده وإن دلت على شيء فهي تدل على اشتعال الوجدان وفيضه، إلى درجة التحليق والطيران حتى حدود المستحيل.....»

خطر ببال بعض النقاد، ومنهم البرفسور جون مونرو، أن يكتبوا عن تأثره بالشاعر لورد تنسن والشاعر روبرت فروست، «One can hear echoes of Tennyson, the down-to-earth plainness of Robert Frost...» ولكنهم عادوا ليدركوا أنه قرأ وحسب، وليس له شاعر يعتبره قدوة ونبراساً.

ثم يستطرد ويقول:

«In his poetry we hear echoes of the voices of three poets of international rank and acknowledged excellence: Amin Rihani, Mikhail Naimy, and Khalil Gibran..... as those writers with whom he forms a distinguished quartet.»

يقول البرفسور قاسم شعبان في مقدمة ديوان جودت حيدر «(Shadows):

I took the liberty of showing the manuscript to two friends of mine at the American University of Sharjah, Professors Peter Fallon and Judith Caesar, both were fascinated with "the powerful and original sensibility the poems." They were impressed also by the variety of themes and the threads of hope interspersed within the melancholic march of time and the approaching demise rings throughout many poems in the Shadows

collection.

أنتجت «وزارة الثقافة والتعليم العالي» بالاشتراك مع «تلفزيون لبنان» حلقة عن حياة وأدب جودت حيدر، حيث تحدث خلالها كلٌّ من نقيب الصحافة الأستاذ زهير عسيران والدكتور شوقي خيرالله والدكتور روجي البعلبكي، رئيس اتحاد الكتاب اللبنانيين، والأديبة الدكتورة نور سلمان:

تحدث النقيب زهير عسيران في الحلقة قائلاً:

«الرجال هم تتألق اسماءهم تألق السماء الصافية، جودت حيدر واحدٌ من هؤلاء، فهو من فحول الشعراء، يضاهي شعره وأدبه شعر شكسبير. واكمه زميلي الوزير والسفير الأردني أكرم زعيتر في إدارة جامعة النجاح في نابلس، فكان قمةً في التربية والتعليم. هذا العملاق البعلبكي بل اللبناني، نجح في الشعر والسياسة والأخلاق فهو ابن السهل بسحره وهدوؤه وابن الجبل في شموخه وعظمته.»

أما الدكتور شوقي خيرالله فقال:

«نتجه شمالاً نحو بعلبك فيطل علينا عند الشفق عواميد الخلود نرنو إليهم مقتدين بهم جمعاً على أن الأعمدة العجب أحياء يرزقون. فنخرج على قبة دورس الشاهد على حياة تتوالى ومقام خلود. وما الخلود، لقد تنزل الله وما أعطي لبشرٍ ولا نبي. أنعم عليهم سبحانه برفقة الزمان أبداً وبصحبة الدهر والصدق واختراق الحجب. المشتبه عند ربه أقلوم من قائم الزمان، جودت حيدر أقلوم من قائم الزمان. من بالروية وبالانجذاب الحي أهل القلم وسحرة الكلمة آل الأدب المنجح والشعراء. فالشعراء هنا تناق الرحال عند جودت حيدر كأنه قبلةً ومقصداً وشاهد. سكنته الروية وعمره قطافٌ ومعراجٌ وتجلي. فتفتق وجدانه بأعجوبة ومعجزة لا بالعربية الأم بل بالإنكليزية من عليا أكسفورد مثل عليا معد هبطت من المقام الأرفع. سيظل شاغلاً لنقاد الأدب بغى اكتشاف نفس سبحان الذي أوحى لها. مثال طريق النحل من يخطه لهن مع المسافات إلى رحيق الشوق وقطر الندى ودمع البؤس، مسيرة الطير قارة بعد قارة من يلهمها في أوقاتها والمواسم. خفق قلب الشاعر بكلمات عجب، من يحركه هذا العملاق، ينتخي ويتناول فيرتفق بهيكل بل

ومجامر بابل.

أتراه يشبه الخالق شاهداً على خير أمة جعل من جعل هذا الرجل الفذ ربحاً سمهرياً مخضباً بالروى المستحيلة وبالكلمات العذارى في القوافي الأنف ووشوشات العجب على رمال الأفق. جودت حيدر إهنىء بغرة الخلد وبعرف الزمان عازفاً على مجوز بعلبكي قصبه نثر لم يمتصه قبلك لا إنس ولا جان. إهنىء فإنك حي أبداً.»

قال الدكتور روجي البعلبكي:

«واحدٌ من كوكبةٍ متألفةٍ من الشعراء والأدباء اللبنانيين الذين ذاع صيتهم في البلاد الناطقة في اللغة الإنكليزية من أمثال جبران ونعيمة والريحاني. كتب في جميع المواضيع فهذا الشعر الشامل استحق عليه لقب شكسبير العرب. له روى ولغة تدعمها. ناضج الفكر متألق الصياغة إنه قارئ نهم.»

بنى علاقةً خاصة بالبحر فأحب البحر وناجاه ألفه وأصبح أنيساً له، كما استوحى منه قصائد كثيرة. علاقته مع البحر متبادلة يدخلها التفاعل. أغرم به لأنه يشبهه. فكلاهما يحمل هموم السنين وذكريات الغابرين ونظرات أو هموم الحاضرين من خلال حركة هي حركة الصراع المتواصل. أحب لبنان فحمل معه شهامة اللبنانيين وسائر الشيم والحسنات من نبلٍ ومروءةٍ وكرم. لذلك هوذا الشعر المنظوم يعكس لبنانية جودت حيدر وأصالتها وإن كان يرتدي حلة أجنبية. إنه عضوٌ في اتحاد الكتاب.

مبدعٌ من بلدٍ اشتهر بحمل الرسالة الثقافية والقيادة الإنسانية.»

أما الدكتورة نور سلمان فقالت:

«جودت حيدر ظاهرة، علمٌ من أعلام الوطنية شهيمٌ نزيه. بدأ حياته بالنفي، إنه عربي النزعة. يتساوى مع الشعراء الأجانب ولا يقل عنهم أمثال روبرت فروست. متصوف ولكن منفتح ومترفع. فعنده الترفع عن كل ما يصغر إبداعه أو شخصيته كفارسٍ من فرسان آل حيدر من بعلبك.»

وفي مناسبةٍ أخرى كتبت الأدبية الدكتورة نور سلمان:

«هو أديبٌ لبنانيٌّ عربي كتب لنا وكتب عنا وكتب فينا.»

أسامة خير الله كتب:

«لا أدري لماذا يذكرني جودت حيدر بالكاتب والشاعر الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس وبخاصة من جهة ثقافته الشمولية الممتدة بجذور الأساطير العالمية شرقاً وغرباً..... والذي يفرض مناخه بفذاذة على القارئ»

لقب بشاعر البحر الذي أحبه ورآه يشبهه فأتى فيه بأعاجيب من شعر راق النقاد ونال إعجابهم..

كتبت مجلة «بسملة/الأردن» في عددها الصادر في ٢/٥/١٩٩٢ تقول:

«أرتبط حيدر بالبحر... وظل هذا الامتداد الأزرق جزءاً لا يتجزأ من خياله المنبسط لا حدود.

في البحر قرأ حيدر الذات البشرية الحرة وفي البحر رأى سحر الخلق والتكوين.»
من جريدة (السياسة) الكويتية:

«هذه اللغة الصعبة، والمستحيلة، السهلة والممتعة... يرسم الأشياء كلاماً تحدث في النفس الانطباع الحكمي وتدخل الروح في الأبعاد النسبية والأحجام الكونية والماوراء إلى خارج الزمان حيث المكان امتداداً للواقع...»

نشرت جريدة الأنوار في عددها الصادر في ٦ أيلول ١٩٩٩ ما يأتي:

«تلقى الشاعر جودت حيدر رسالة مهجرية من الشاعرة جانيت حداد المقيمة في ميشن فييهو، كاليفورنيا. وهنا نصها الذي وصلنا:

بحثت عن قلبي فلم أجده

ولما وجدني ووجدته

قال لقد أهملتني سنين

فلم اليوم عني تبحثين

قلت لم أهملك ولكن الوحي أمهلني
لحين جاء بشعرٍ وشاعر ألهمني

قالوا «عملاق»؟ قلت «أكبر».

قالوا «فنان»؟ قلت «أمهر».

تساءلوا من يكون

قلت أقرأوا ما جاء

ثلاث موسوعات أولها

«أصوات» ثانيها... «أصداء»

وثالثها «ظلال»

قرأت «أصوات» فسمعت هدير

الرياح

وزقزقة العصفور ووشوشة

الزهور

تواكبها ذكريات ديارٍ

وانطباعات

لا تمحورها الدهور.

قرأت «أصداء» فوعيت عيناً

ساهره

ونفساً رفيعة لا تفوتها شاردة ولا

واردة

تراقب عن كذب وتخط بقلمٍ وتعبر

دون تلون وتزمر

تنشر الحب وتبعث الأمل

تمهد الطريق لجيل أفضل